



سُلَيْمَانُ بْنُ الْحَيْثَمِ

مُنْشِدُ الْعُرُوبَةِ وَالْأَطْفَالِ

تأليف
إيمان يوسف بقايعي

الأعلام من الأدباء والشعراء

سُلَيْمَانُ بْنُ الْحَيَّسِيِّ

مُنَشَّدُ الْعُرُوبَةِ وَالْأَطْفَالِ

تَأليف
أحمد بن يوسف بن قاسم

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابطہ پیدل < nktba.net

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

ص.ب: ٩٤٢٤/١١ - تلکس: ٨١٥٥٧٣-٨٦٨٠٥١-٦٠٢١٢٣ - ٣٦٦١٣٥

فاکس: ٤٧٨١٣٧٣/١٢١٢ - ٠٠/٩٦١١/٦٠٢١٢٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

بقلم: الدكتور رفيق عطوي

بين الشعر والثورة، علاقة ودٌ تُعرفُ الأصالة من وَهج المعاناة.
وشاعرنا سليمان العيسى، عاشق حرية، وفارس غربة، وشاعر أمة.
في شعره بعض ذاته، هذه الذات المتوثبة أبداً نحو اليقظة، يحمل
آلام الأمة، والآمال. لا يهدأ، لا يلهو، لا ينثر أحلاماً فوق مساحات
العيب، أو ضمن الجدليات البراغماتية الغارقة، حتماً، في لعبة انحراف
الوجود العربي نحو التهميش.

عرفت سليمان العيسى، جناناً، وأنا بعد في عهد الطلب، حيث
الأمة من المحيط إلى الخليج تشهد بزوغ فجرها القومي الصحيح.
فكان شعره نبراساً أضاء تألقنا الثوري حينذاك.

وعرفت سليمان العيسى عياناً منذ عامين، في صنعاء. وتحديدًا في
مكتب الأخ الدكتور عبد العزيز المقالح، مدير جامعة صنعاء.
لقد أذهلتني المفاجأة!

دخلت مكتب الدكتور المقالح، فإذا به جانبه رجل مجلّل بالوقار،
قد نيف على السبعين، وعلى محياه ابتسامة مسفرة. فخالجني شعور
شديد بمعرفة هذا الرجل. وكأني بالدكتور المقالح قد أدرك بذكائه

المعهود، حقيقة مشاعري، فابتسم وقال لي: إنه سليمان العيسى،
الشاعر العربي الكبير.. وقدمني إليه.

تسُرت عنائي في الرجل للمحطات.. تَرَدَّدَتْ خلالها في خاطري
أصداء قول شاعرنا:

شمس العروبة إن تطيق الظلم بعد اليوم، غيبي
غيبي. سنصنع للدنى شمساً تضيء بلا غروب..

ثم دار حديث عن لبنان بكل أحزانه وأحلامه... والشاعران المقالحي
والعيسى بحبّان لبنان وبقدّران دوره الثقافي والحضاري في دنيا العرب
والعالم.

وما دام الحديث عن سليمان العيسى الإنسان والشاعر، فلن يغيب
عن بالي ذلك النبا الغريب الذي حمل الى العالم استشهاد سليمان العيسى
خلال أحداث مدينة حلب، إثر انفصال الوحدة بين مصر وسوريا، وضياح
حلم عربي كبير. فانبرى الشعراء يرثون الشاعر العربي الكبير.. ولكن تبين
بعد أيام أن الشاعر العيسى ما زال حيّاً يرزق.. فكان أول شاعر يسمع رثاه
وهو على قيد الحياة. وأذكر في هذا المجال ما قاله شقيقي الشاعر
الدكتور فوزي عطوي في رثاء سليمان العيسى:

بدمي، بلوعة، أمتي، بشقائي

بعرويتي، بعقيدتي، بإبائي

باسم الملايين التي ظيقت الى

رقراق شعرك قد نظمت رثائي

غُرْبَدَ أَمْتَنَا وشاعرَ شمعينا

ماذا تركت لسائر الشعراء..

ولكن غنّى الشاعر سليمان العيسى للأطفال. فالأطفال هم الأمل
الطالع، والخير الآتي للأمة. هم حلم الشاعر، يطربهم بالصوت الدافئ،
وبالكلمة العليّة. كي لا تفرقهم أفاظ الدهشة والغربة، وعبارات القهر
أو الظلمة. علّه يبلغ في مسعاه، توجيه مسار الأطفال نحو اليقظة...
وحسبي في هذا قول الشاعر في «رمال عطشى»:

يقولون: غَنُّ الهوى والشباب

وما كنتُ يا وطني أجِرُّمُ

تشرّذتُ طفلاً... ولن أرتضي

مصيري لعفلي غداً يُقسَمُ

وبعد،

فإن هذا الكتاب «سليمان العيسى شاعر العروبة والأطفال» للسيدة
إيمان بقاعي، يمثل دراسة واعدة، وإضاءة طيبة، وجهداً مباركاً، وتحية
وفاء لرجل أعطى العروبة عمره، وشدا ألقانها، وغناها أناشيد النضال،
فأغنى بها تاريخنا الأدبي شعراً قومياً ملهماً، عليه من الخلود مطارف
لا تبلى.

د. رفيق عطوي

٩٣/١٢/٢٠

سليمان العيسى

«غناء الذكريات»

خَلَقْنَا الْبَيْدَ الْعَطْشَى
وَدَعْنَا الرَّمْلَ الْأَغْبَرَ
وَلَهَاءَ الصَّحْرَاءِ الْحَزَى
وَبَسَاطَ الرَّمْضَاءِ الْأَحْمَرِ
هَانِي يَا أَيْكَةُ ظَلِيلِكِ
مَدِّي يَا شَامُ ذِرَاعِيكِ
الْفَوْطَةُ أَقْدَاخٌ وَمِدَامُ
وَالْجَنَّةُ عَصْفُورٌ يَا شَامُ
فِي صَدْرِكَ
عَصْفُورٌ أَخْضَرُ
حُلُمٌ يَصْحُو...
حُلُمٌ يَسْكُو...
يَا نَهْرَ السَّحْرِ... سَلَامًا
يَا أَرْضَ الْعَطْرِ... سَلَامًا^(١)

(١) سليمان العيسى، ابن الایهم، الإزار الجريح — شعر ط ١، ١٩٦٦، ص ٢٥ .

وللنِّيراتِ أجنحةٌ...

وللكَلِمِ أجنحةٌ تطير... تطير ويعود النشيد من جديد...

نشيد فيه الكثير من الموسيقى والحب... الحب للقاء! الشام والغوطة
والقلل والأحلام تتألى... الحداة ينشدون. الحداة يواصلون النشيد:

عدنا يا شام من السفرِ

عدنا بفراشات السَّحَرِ

بضفائر... كانت للقمرِ

كانت لصبابا الجان...

زرق كالصَّخِرِ حسان

خضر كرؤى بستان

رؤاه كوثرك الاسمز^(١)

فسقى الدنيا... ومضى يسكره

الجنة عصفور يسكر

في صدرك، عصفور أخضر

يا شام... سلام!

يا أرض المجد...

سلام!^(٢)

الأمكنة تغني... الجغرافيا تغني... تتحول الجغرافيا ذكريات

(١) إشارة الى نهر بردى.

(٢) سليمان العيسى، ابن الابهيم، الإزار الجريح — ص ٢٧-٢٨ .

نابطة... من الشام إلى «التعميرة» البعيدة خمسة عشر ميلاً من مدينة
انطاكية التاريخية، وُلِدَ سليمان العيسى...

كانت القرية فقيرة ولكنها كانت جميلة جميلة...
ولابد وأن جمالها أثر في شاعريته
لابد وأن جمالها غرس الحروف رنانة في كلماته...
«التعميرة» الولادة...

و«التعميرة» الاقتلاع...
مَنْ يسرق لواء الاسكندرون؟...
مَنْ يسرق الذكريات؟...
هل تسرق الذكريات؟...

«حلّو كالحبّ عتاب منى»^(١)

أهلاً بخيالِك... طفلتنا

يا للذكرى... تعلوي الزمنا

وتجدّد شطراً... من عمري!

أهّام غصّفنا... في الدنيا

لهباً، ورغائب من جنّير

أهّام نصّبنا الجبلُ

والخذُّ الأسمُر، والغَزْلُ

وليسالي القرية، والزجلُ

(١) صديقة الشاعر وقد أرسلت له رسالة عتاب من قريتها.

إذ نبدؤها عند العصر!
وبضيع الموكب في عرس
والسكرُ يصحو من سكر

بالروح... صباهاث نشوى
خفقت بالحب.. كما نهوى
فكانت، بل ما زالت سلوى

لكفاح، ملتهب، مرًا
خضناه في الشوك الدامي
ثورات جراحات حمر
إذن فالذكريات عند الشاعر تبقى سلوى تبلم جراح الأيام
القاسية... تبقى حلاوات من طفولة عذبة.. تبقى تمسح الجراح..

في كل مَطْلٍ أو دربٍ
أصداء.. من مَرَجٍ عذبٍ
وخيال.. يومئ للصحب

أتني لم أقوَ على الهجر
عودوا فالقرية بعدكم
قد أرقها صمتُ القبر

مضت الذكرى... عامًا، عامًا
وبقينا فيها... أنعامًا
قصصاً للحب... وأحلامًا

صحيح أن الذكرى مضت لكن الصغار الذين صاروا كباراً بقوا
أنغماً فيها وأحلاماً وقصصاً ورغبة في العودة الى الطفولة إلى كل ما
هو جميل وبسيط وصافي...

«سنعود الى النبع الصافي

ونسيرُ مع الراعي الحافي

بأريج العطر الهفافي

لن نخطم أغلال الشر

سنعود لنبدأ ثورتنا

في كوخ الحطاب المزري»^(١)

ماذا يريد سليمان العيسى وقصائده تنضح بالذكريات؟ ها هو أيضاً
يعود في الذاكرة إلى زاوية هادئة لأحد اصدقائه في «المقهى الهرم
بدمشق» فراه يسترجع الذكريات بشكل حيوي رائع وكأنها صورة
متحركة تراها بأف عينيك:

«سعيًا للأمس... أنحا الجام

وسلام... يا ليل الشام

إلهام... ذاب إلهام

وكؤوش تعبق بالبحر

وشبابٌ للدنيا ظامي»

ويخاطب صديقه:

(١) قصيدة «القرية ومنى» كُتبت عام ١٩٥٣ .

«اجلس.. تسبقك «الرجيلة»

وأبو عدنان^(١) .. فتى حيلة

ولقد تعيبك «التشعيلة»

وترنث «نازك» فاصطبر

فلكل عسير.. تذليله»

ويتابع بروعة وصف صورة الرجيلة ونفثاتها التي تجلو أفكار المتأمل
كما يقول.. يعرف الامر من يمدخنها ويعرف الامر من يستوحىها:

«ومع النفثات النّوّارة

يجلو المتأمل أفكاره

ويصافح قلب أسرارها

فإذا هو في لُج الفكر

نغم يتلمس أوتارها»

• • •

وهذه الذكريات حميمة ملحة.. يسرق الشاعر فيها نفسه إليها..
يعيشها.. بل يتمنى أن يعيشها.. ولكن حين لا يفعل.. نراه يرجو صاحبه
أن لا يترك هذا المقهى الهرم.. هذا المقهى الذي يستحق الحب
والوفاء من كل من يرتاده سحماً محتملاً بالألم.. ويرجوه أن يبقى وفيّاً
له فهذا الوفاء هو النور الذي يضيء ظلام الليل:

(١) صاحب المقهى

«لا تبرح» مقهانا» الهيرما!
أهوى فيه حتى السأما
بالمرهقي مثلي والضَّجِر
وبمن حُرِّموا.. إلا الألما

جَدَّد فيه نار «التَّنَفِّسِ»
وبقلبِ المأساة انغمس
إن لم نكُ نحن سنا القَبَسِ
في هذا الليل المحتكرِ
وا لهفا.. للركب التعمس^(١)
رحلة الذكريات لا تنتهي مع شاعرنا.. وكيف تنتهي والاقتلاع
ديدن الحياة.. والاقتلاع خنجر مغروس
«الخنجران»^(٢) بصدري
كان نزفهما
عمري.. أحب به طفلاً وأضطغنُ
الخنجران.. ويافا يتل حارتنا
خلف السلايل.. لا أهل ولا سَكَنُ
بعيدة.. عتباتِ الحلم.. يا وطني

(١) قصيدة الجسر والمقهى الهرم — نظمت عام ١٩٥٤ .

(٢) الإشارة الى لواء الاسكندرون وفلسطين.

صحراء يلهث فيها الفكر والظن

أرتد طفلاً

أدق الصخر منتظراً

صحو النايبع

يكي قبضتي الوهن^(١)

فالذكريات الحلوة تستعاد..

كذلك الذكريات المريرة..

الجرح لا يُنسى.. كيف ينساه شاعر؟..

لواء الاسكندرون، فلسطين، يافا، حارة الشاعر كلها في الهم

سواء.. كلها في الحزن سواء، الحزن يجلب الحزن. والأسى يبعث

الأسى، لكننا العودة إلى عالم الأحلام المستحيلة أحياناً هي مجرد

عودة بريئة لعالم الطفل الذي يدق الصخر بريد الماء ينبعث من دفته

تلك..

ينتظر انفجار الماء.. انفجار ينبوع.. يدق بعد.. ولكن ها هي

القبضة الصغيرة تتألم.. والصخرة جامدة قاسية والينبوع؟.. أين

الينبوع؟..

يكبر شاعرنا وما زال صغيراً يحمل في جعبته الذكرى

يصير في الخمسين وهو ما زال صغيراً..

(١) قصيدة أمشي وتأنين — أنشدت في مهرجان الشعر الخامس عشر الذي أقامه

اتحاد الأدباء والكتاب العرب بصنعاء في ١٩٨١/١٢/١ .

للوطن يغني كما كان يغني عندما كان طفلاً..
للوطن الكبير يغني كما حاول لأول مرة في قصيدته الأولى
المهداة من «فم العاصي» الى اليمن والخليج والوطن الكبير.. الحلم
الكبير..

الذكريات؟..

«أشدُّ عليك.. في الخمسين.. طفلاً يكبر الالم
وتكبر أنت.. والحلم
على قمر يد ضيقتا.. هو الحلم
كأنني ما أزالُ على فم «العاصي» تراثيلاً
أجربُ أن أدقُّ على المحيط قصيدتي الأولى
وأنشز ناز قافيتي على اليمن
وأسمع في الخليج دويَّ أحلامي ويسمعني
أنا العفلُ الذي ما زال يكبرُ فيك محترقا
فخذ حذقي لأبصرَ فيك، وأكبر في دمي رَققاء»^(١)

لنعد قليلاً الى طفولة الشاعر..

جاء في خاتمة الديوان الشعري «كلمات مقاتلة» للشاعر سليمان
الميسى، الصادر عن دار العودة بيروت عام ١٩٦٩ وتحت عنوان
«الشاعر في سطور» ما يلي:

(١) سليمان الميسى — اغان برشة البرق — قصيدة أقاتل باسمك العريان.

- سليمان أحمد العيسى: ولد عام ١٩٢١ في قرية النعيرية على ضفة نهر العاصي غربي انطاكية..

- كان في مدرسة انطاكية الابتدائية حين اشتعلت الحركة العربية الثورية في لواء الاسكندرون شمالي سوريا دفاعاً عن عروبة هذا الجزء الذي أهده الاستعمار الغربي إلى تركيا عام ١٩٣٧.

- هاجر بعد اغتصاب وطنه الصغير إلى دمشق.

- وأتم دراسته الثانوية في حماة واللاذقية ودمشق. وعرف في هذه الفترة مع رفاقه اللواتيين مرارة التشرد وقيمة الكفاح.

- شارك في تأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي وهو طالب ثانوي عام ١٩٤٠.

- طرد من المدرسة ودخل السجن غير مرة لمشاركته في المظاهرات الوطنية واشعاره الملتهبة التي كان يلقيها في الجماهير.

- أنهى دراسته الجامعية في دار المعلمين ببغداد.

- عين مدرّساً للأدب العربي في ثانويات حلب عام ١٩٤٧. وانتقل إلى دمشق مفتشاً أول للغة العربية بوزارة التربية في مطلع ١٩٦٧.

- كانت حياته وما تزال موزعة بين التدريس والشعر والكفاح القومي..

- من مؤلفاته: مع الفجر - شاعر بين الجدران - نائر من غفار - قصائد عربية - صلاة لأرض الثورة - أمواج بلا شاطئ - ديوان

الاطفال — كلمات مقاتلة — أغاني برهشة البرق..

- ونذكر أنه اتجه إلى كتابة شعر الاطفال بعد نكسة حزيران عام

١٩٦٧ وكتب قصة طفولته شعراً ثم كتبها نثراً للاطفال.

الأولى بعنوان: أحكي لكم طفولتي يا صغار.

والثانية بعنوان: وائل يبحث عن وطنه الكبير.

- وفي تشرين الأول من عام ١٩٨٢ حصل على جائزة «لونس»

للشعر من اتحاد كتاب آسيا وأفريقية.

وفي عام ١٩٩٠ انتخب بالإجماع عضواً في مجمع اللغة العربية

بدمشق..

يكبر سليمان العيسى

لكنه يعيش الذكريات

«مضت الذكرى... عاماً عاماً

وبقينا فيها.. أنغاما

قصصاً للحب... وأحلاماً»

يكبر سليمان العيسى

لكنه أهدأ يُسمعنا

غناء الذكريات.

ثقافة الشاعر

«كان والدي الشيخ أحمد، رحمه الله أستاذي الأول، بل أستاذ القرية كلها، والقرى المجاورة.

لم يكن في قريتنا مدرسة.

بل لم يكن في الريف كله مدرسة واحدة في تلك الأيام. المدرسة الابتدائية الوحيدة في المدينة، في كتاب الشيخ أحمد، أعني في بيتنا. حفظت القرآن عن ظهر قلب، لأنني كنت أساعد والدي في مذاكرة التلامذة.

فكانت السورة الواحدة من سور القرآن تعاد أمامي من عشرين إلى ثلاثين مرة.

فلا عجب أن ترسخ في الذاكرة آياتها. وأن ترسخ معها بنية العربية وأسسها المتينة في أعماق الطفل الصغير ابن السادسة أو السابعة. وفي «الكتاب» أتقنت الخط، وتعلمت عمليات الحساب الأربع، وحفظتُ الجزء الثاني من مبادئ العربية في الصرف والنحو للمعلم المرحوم رشيد الشرتوني.

ورحْتُ استظهر عشرات القصائد من الشعر العربي قديمه وحديثه.. ومن المعلقة.. إلى شعراء العصر العباسي.. إلى شوقي وحافظ وخليل مطران والرصافي والزهاوي وبدوي الجبل..

كانت مجلة العرفان التي تصدر في صيدا ومجلة الهلال المعروفة
من بين المجلات القليلة النادرة التي كانت تصل الى قريتنا.
كان الشيخ أحمد يذل قصارى جهده ومعظم ما يدخره من نقود
زهيدة ليأتي ببعض أعداد هاتين المجلتين من المدينة. وما يكاد العدد
من أية مجلة يصل الى البيت حتى نلتهمه التهاماً فلا نترك فيه كلمة
إلا قرأناها وأعدنا قراءتها وحفظنا ما فيها من شعر عن ظهر قلب.
كنت أحب الشعر..

وكيف لا أحبه، وأبي شاعر ينظم قصائده ويكتبها بخط جميل، ثم
يغنيها مساءً عندما تجتمع الأسرة على موقد النار؟..
ولطالما اجتمع عندنا فلاحو القرية وأنشدهم والذي قصائده إنشاداً
بصوته الرخيم.

فكان ديوان المتنبي، هذا الشاعر العربي الكبير، رفيق طفولتي،
أقرؤه على أبي، وأستظهر كل يوم قصيدة، أو جزءاً من قصيدة منه، ثم
أغني ما أحفظ بصوت حلو رقيق:
أرق على أرق، ومثلي بأرق وجوى يزيد، وعبرة تترقرق
ولم أكن أدرك معنى هذه الكلمات: الأرق، الجوى، العبرة التي
تترقرق، ولكنني كنت أحس إحساساً غامضاً أنني أحفظ شيئاً جميلاً
جداً، وأن الأمة التي ابدعت مثل هذا البيان الرائع لا بد أن تكون أمة
رائعة..^(١)

(١) في قضايا الشعر العربي المعاصر — دراسات وشهادات — تونس ١٩٨٨ —

وفي التاسعة أو العاشرة - لا أذكر أيضاً - بدأت كتابة أولى قصائدي، تحت اشجار التوت والتين في حارة بساتين العاصي وعلى ضفاف نهر العاصي، جاري ورفيقي الذي لا أنساه.

كانت قصائد الطفولة تتحدث عن هموم الفلاحين وبؤسهم وكفاحهم في سبيل اللقمة.

كانت تحمل بذور الثورة على هذا الشقاء الذي لا يعرف أحد كيف حلّ بهؤلاء المساكين ولا يجرؤ أحد أن يناقش أسبابه.

كان الطفل الشاعر يهتف ببراءة وهو دون العاشرة:

«ألا أيها الفقراء موتوا

لكم في جنة الفردوس قوٲ

لقد بنيت لكم ثَمَ لبيوٲ

وكوثركم بها يجري شهيا»^(١)

وكان للأرسوزي الدور الأكبر في إغناء ثقافة شاعرنا وتوجيهها فاستغرق شاعرنا مع الفيلسوف الألماني فيخته ومع نيتشه و «زرادشته» الذين أشار عليه بهما أستاذه..

وكذلك قرأ الأدب الانكليزي بمساعدة صديقه بدر شاكر السياب الذي أحبه جداً والذي عقد معه صداقة جيدة في بغداد وقد تبادلوا المعلومات، فسليمان يطلع السياب على ملامح الادب الفرنسي

(١) نفسه ص ٢٦٨ .

والسياب على ملامح الشعر في الادب الانكليزي وحين توفي صديقه
السياب رثاه بمرارة...

رثى شعره المضيء «لرحاب البؤس»
رثى كلماته «الحر».. رثى في صديقه القمم التي تخضر وتورق به:
يا شاعر النبوة السمراء يحملها
إلى الخلود جناح ليس ينهزم
غمست قلبك في المأساة فانسكبت
نعمى تضيء رحاب البؤس تنتقم
نحن العطاش.. وتسقي الأرض زفرتنا
ويبعد الطيف.. لا شكوى ولا ندم
من شهقة الكلمات الحمر.. من دما
تخضر يا بدر، تحيا.. تورق القمم..

مات بدر.. وما ماتت ذكراه..
مات بدر، وما مات بيرون وشيلي وكيثس وردزروث.
مات بدر، وما مات الشعر المقروء من بنابيعه الانكليزية والفرنسية
والأمريكية.

مات بدر، وما ماتت ذكراه..
نعم! الذكريات عند سليمان العيسى أبداً لا تموت.
هي تحيا في أعماق أعماقه.. في الطفل الكامن فيه..
هي تحيا كي تنشد كل يوم أناشيدها الوضاء..

قضية العروبة

يتحدث شاعرنا في باقة نثر «وائل يبحث عن وطنه» عن كيفية اكتشافه للتاريخ ذلك العلم الهام جداً كي يقرأ الانسان جذوره..
كي ينبش ماضيه، ماضي أجداده، ويعيش إضاءاته، يحاول من خلالها استجلاب المواقف المشرفة.. ربما مقارنتها وربما استمداد النسغ منها..

في بغداد درس شاعرنا التاريخ وعاد إلى كتب التراث: ابن خلدون.. اليعقوبي.. المسعودي.. ابن الاثير.. الطبري.. وعشرات مصادر الكتب.

درس التاريخ بطريقة منهجية علمية...

«وذا صباح» يقول شاعرنا، في «وائل يبحث عن وطنه الكبير»: «وقع في يد وائل كتاب من كتب التاريخ.

يا للمفاجأة الحلوة! لا يذكر عنوان الكتاب بدقة، ولكنه كان بالتأكيد يتحدث عن تاريخ العرب، وأمجادهم القديمة.

أخذ الصغير الكتاب وضعه الى صدره بحنان وإجلال.

ثم انطلق الى البستان واختار ظل شجرة من اشجار التوت الوارفة الاغصان، وجلس تحتها وأخذ يقرأ.

ساعة.. ساعتان.. ثلاث ساعات..

لم يشعر وائل بالوقت.. ولا أحس شيئاً مما كان يدور حوله. لقد انتصف النهار وما زال غارقاً في الكتاب يقرأ بنهم ولذة. إن أباه وأمه سيفتقدانه إذا تأخر كثيراً، ولكنه لم يهتم لذلك. وتابع القراءة حتى مالت الشمس الى المغيب عندئذ طوى الكتاب وضمه الى صدره كأنه يضم كنزاً صغيراً امتلكه فجأة، وعاد في صمتٍ وشرود.

لم يسأله أحد أين كنت؟..

كان أهله يحبونه ويعرفون شروده وحبه للعزلة أحياناً. وفي صباح اليوم التالي انطلق وائل بكتابه العزيز الى شجرة التوت، وواصل القراءة.

وتوالت الايام..

والصغير يقرأ الكتاب ويعيده حتى كاد يحفظه عن ظهر قلب ثم أخذ يجمع رفاقه الصغار في القرية، ويقص عليهم بعض الحوادث والبطولات العربية.^(١)

يقرأ سليمان التاريخ.. يقرأ وائل التاريخ ويقصّه على رفاقه عندما كان صغيراً.. ويقصّه على قرائه عندما صار كبيراً..

لا يقصّ المرء شيئاً لم يتفاعل معه!

أحببت «أبا محجن الثقفي»

أحببت الفارسيّ الضائع..

(١) باقة نثر (والل يحث عن وطنه الكبير) ص ١٦-١٧

كُتِبَتْ مسرحيته، أو لمحاته الأربع عشر في أسبوع ورحلتُ اتحدث
اليه..

كأنني اتحدث الى صديق قريب.. قريب..
فكان يعيش معي في كل لحظة، في كل خاطرة.
ثم القيت الدفتر المخلوط..
تركته جانباً يقرؤه الصغار، ويتخذ الكبير نسخةً منه لنفسه.
وفتحتُ «الأغاني» ^(١) عَرَضاً..
أقلب صفحاته دونما هدفٍ أرمي اليه
كمن يخطر على باله أن يعث بشيء..
بعد عمل مجهود..

ووقفت فجأةً أمام هذا العنوان:
«أخبار حسان وجبلَة بن الأيهم»
وأخذتُ أقرأ بدقة.. وعلى مهل
طالعت الفصل كله.. وابتسمت
«ابن الأيهم»

مجنون آخر.. تجربة جديدة..
لعله هو الذي أبحث عنه أيضاً..
سأعيد القراءة..
سأقف عند كل كلمة..

(١) الأغاني لأبي فرج الأصفهاني.

والقصة معروفة، حفظناها ونحن صغار:

جبله بن الابهيم، آخر ملوك الفساسنة في الشام، يعلن إسلامه،
ويذهب الى الحجاز. يرحب به الخليفة عمر بن الخطاب في حرارة،
ثم يصطحبه معه الى الحج. وفي أثناء الطواف حول الكعبة، يدوس
رجل من بني فزارة إزار الملك الفساني، فيغضب، ويرفع يده فيهمش
له أنفه..

ويشكوه الفزاري الى عمر..
فيطلب منه أن يرضي الرجل، أو يُقيدهُ منه..
وكيف يقيده؟..

بأمر بهشم أنفه، كما فعل هو بغيره..^(١)
وها هو عمر بن الخطاب يخاطب الملك كما تصوّر شاعرنا:
«عمر: يا بنَ أبهم!

ليس في قبضتنا إلا سلاح
في يمين الله
لامع حدّاه
اسمه الحقُّ الصراخ
وهو، لو تعلم، أمضى
من سيوف الارض، من صولتها،

(١) سليمان العيسى — ابن الابهيم الإزار الجريح — كلمة عابرة ص ٩-١٠ .

طولاً وعرضاً
قد حملناه رسالة
وسللتناه عدالة
فدور التاج، وأبناء السبيل
نحت هذي الدوحة السحاء
أكفاء، سواء في المقيـل

* * *

يا بن أبيهم!
جاءني هذا الصباح
مشهدٌ يبعثُ في النفس المرارة
بدويٌّ من فَرارة^(١)
بدماءٍ تنظلمُ
بجراح
تكلّم
مُقلّة غارث، وأنفٌ قد تهشم
وسألناه،
فألقي فادّخِ الوزيرِ عليك
بيديك،

(١) قبيلة عربية.

قال، قد أشبعته ضرباً وقصفا
 بيدك،
 في فناء البيت قد هشمته وجهاً وأنفا
 أصحيح؟..
 يا بن أهبم!
 أصحيح؟..
 ما ادعى هذا الفزاري الجريح!

* * *

جَبَلَة: «بهديو»

لستُ من ينكرُ أو يكتُم شيئاً
 أنا أدبْتُ الفتى، أدركتُ حقِّي بيديا.
 عمر: أيُّ حقٍّ، يا بن أهبم؟..
 عند غيري يُقهَرُ المستضعفُ العافي ويظلم
 عند غيري جبهةٌ بالإثم، بالباطل، تُظلم
 نزواتُ الجاهلية
 ورياحُ العنجهية
 قد دفناها، أقمنا فوقها صرحاً جديداً
 وتساوى الناسُ:
 أحراراً لدينا وعبيداً
 يأخذ الحقُّ القضاء

وهو - لا أنت - الذي يُنْقِذُ عندي ما يشاء»^(١)

قرأ سليمان التاريخ..

قرأ وائل التاريخ وأعاد صياغته..

«وما أدعي أنني أحسنُّ عنه التعبير..

لقد كان هذا رائدي

وصادقاً حاولتُ»^(٢)

نعم.. فتح شاعرنا «الأغاني» غرضاً «كمن يخطر على باله أن يعبث

بشيء بعد عمل مجهد» وإذا بالعروبة تتعملق أمامه في حادثة صغيرة قد

يقرأها الانسان العادي فلا يجد فيها ما وجد سليمان العيسى.

«هناك جانب آخر، لعله أضخم وأهم بكثير..

الموجة الجديدة.. الفتح العربي الذي حمل الرسالة ناراً ونوراً..

الى العالم..

ودك في مثل الملح أقوى مملكتين في ذلك الزمن..

وراح يقيم على أنقاضهما موضوع ضخم.. تهيئته كثيراً..

وأي قلم صادي يمس مثل هذا الموضوع دون أن يهاب؟..

لقد كتب عنه الكثير..

فنأ وأدباً - ولا أقصد التاريخ - ولكني ما أذكر أنني ارتحتُ لقراءة

شيء مما كتب كل الارتياح..

(١) سليمان العيسى ابن الأهمم الإزار الجريح - لمحة ١٠ ص ١٤١-١٣٨ .

(٢) نفسه ص ١١ .

هناك أقلام قوية..

وثقافة تاريخية واسعة.. وجهد محمود.. لا أنكر ذلك، ولا ينكره أحد. ولكنني كنت أهدأ أحس أن القلم الذي لم يفتح أمامه أكثر من نافذة يرى منه النور الذي يريد..^(١)

ماذا قرأ سليمان العيسى؟..

وكيف قرأ سليمان العيسى هذه الحادثة الصغيرة الكبيرة؟..

لا يقرأ التاريخ من لا يعرف الغوص..

«لقد كان عمر بن الخطاب يني عالماً جديداً حين قال لجبلة:

«إن الاسلام قد جمعك وإياه»

واني لأرى فيها كلمةً من تلك الكلمات الفاصلة التي تختم

مرحلة، وتبدأ مرحلة من التاريخ»^(٢)

«إن الاسلام قد جمعك وإياه»

هكذا قال عمر.. وهكذا فصل عمر بين مرحلة ومرحلة. أصرّ

الخليفة على تطبيقه مبادئ الاسلام دون النظر الى المكانة

الاجتماعية.. الناس سواسية.. الناس أنداد «في ظل الرسالة»

لم يدارِ عمر مرتبة جبلة..

أراد أن يأخذ حق الفزاري الضعيف. عتف الملك الجاهلي

التصرف:

(١) نفسه ص ١١-١٢ .

(٢) نفسه ص ١٢

«عمر: نزوات الجاهلية

ورياح العنجهية

دعك من هذا، وجنبي اللجاج

والجهالة!

أنتما ندّان.. في ظلّ الرسالة»^(١)

ان الرسالة واضحة إذن.. وعمر يتمسك بالرسالة.. ويغضب الملك
ويهدد بالارتداد.. وماذا عن المرتد؟..

«عمر: عنق المرتدّ بالسيف تحزّ

عالم نبينة

كلّ صدع فيه

بشبا السيف يداوى

وأعزّ الناس

بالصلوك،

بالعبد تساوى»^(٢)

* * *

إذن من اعتنق الاسلام لا يجوز له أن يعود عنه وإلا قُتل ولو كان
ملكاً..

(١) نفسه ص ١٤٥

(٢) نفسه ص ١٤٧

العودة عن الاسلام صدعٌ يجب أن يداوى
والدواء في حدّ السيف..
منطق القوة؟..

الرسالة واضحة.. هي كالحق.. كالشمس.. كالنهار وضيئة..
هي أخلاقٌ تُمارس وليست مجرد اعتناق خارجي مبتذل فارغ..
الدين هو الدين،
يطبق كله.. أو لا يطبق..

وها هو عمر، بعد أن بيّن لصاحبه الملك كيف يقوم الارتداد —
الصدع، يشرح له الرسالة كما يفهمها هو:

«عُدْ الى الحقّ وضيئاً كالنهارِ

ما حملنا الدينَ زينةَ

ولباساً في المدينة

حيثما شئنا. خلعنا ورجعنا..»^(١)

أجل.. ليس الدين ثوباً نزين فيه أنفسنا.. ليس الدين لباساً نلبسه
ونخلعه متى شئنا.. إنه التزام.. التزام بمبادئ وايديولوجية معينة تطبق
بحذافيرها.. ليس للملك درجة أعلى من الفقير المسكين.. هكذا
جاءت الرسالة.. كلنا بشرٌ.. كلنا سواسية.. كلنا نحمل روحاً.. كلنا
نحمل جسداً

(١) نفسه ص ١٤٨ .

«نجازي المعتدي ضراً بضراً»

هكذا قال عمر للملك الغاضب الذي أراد الارتداد عن الدين.

«بشرٌ مثلك من عَفْرَتُهُ

روحاً، وهامة

تحت أقدام انزعاجك

تحت مجنون هياجك

لا تمارا

عد الى الحق قد مضياً كالنهار..»^(١)

فتح سليمان الأغاني عَرَضاً..

كمن يخطر على باله أن يعيث بشيء..

بعد عملي مجهد..

وتعملقت العروبة.. اختلطت بالرسالة.. صارت هي.. صارتا قضية

واحدة.

«الفتح العربي حمل الرسالة ناراً ونوراً الى العالم.. ودك في مثل

اللمح أقوى مملكتين في ذلك الزمن.. وراح يقيم على أنقاضهما

مفاهيم جديدة، يضع الركائز والاسس لحضارة جديدة»..

فتح سليمان الأغاني عَرَضاً..

كمن يخطر على باله أن يعيث بشيء..

(١) نفسه ص ١٤٩ .

بعد عمل مجهد..

وقرأ.. وكتب..

استقرأ واستنتج.. بحث في فنه عن الجوهر.. شرح القضية —

الرسالة فناً هو بين المسرح والشعر.. لا يهم.

«أتراني أجرؤ.. فأقول المسرحية؟»

إن أشباح العمالقة من «شكسبير» الى «إيسن» الى «بريخت»

لتنصب أمامي في هذه اللحظة..

وما إخالها الا تبتسم مشجعة^(١)

نعم.. فتح سليمان «الأغاني» عرضاً

كمن يخطر على باله أن يعث بشيء

بعد عمل مجهد..

فتتح للريح نوافذ أعادته الى جبلة وعمر.. عاشهما قضية.. تخلّص

من مرضه اللذيد الذي اجتاحه منهما عندما سكناه.

كتبهما قضية واستسلم لفترة ما بعد العاصفة الهوجاء..

لقد تطهر سليمان بعد أن فتح «الأغاني» نوافذ لم تبق ولم تذر

فكرةً إلا واسكنتها فيه، في رثيه..

«أما الكاتب العربي الذي يعرض رثيه للهواء الطلق.. للنور من أية

نوافذ جاء..

الكاتب الذي يأذن للرياح أن تهب عليه من كل جانب — على

(١) نفسه ص ١٣-١٤ .

حد تعبیر غاندي - غير خائف أن تقتله من مكانه، أو ترحلحه عن موضعه.. فهذا الذي أبحث عنه.. وأتمنى من صميم قلبي أن أتلمذ على يديه.

ما أجمل أن يبحثَ الفِرُّ عن الجوهرِ

جوهر الانسان الذي يبقى!

ولم يكن الانسان يوماً مثلاً أعلى كله.. أو نقيصةً كله..

إن الإنسانية لتجلى في نقاط الضعف أحياناً أكثر مما تجلى في نقاط القوة..

وربما وجدنا في الضعف البشري درساً وعبرة يتركان في نفوسنا

إحساساً أعمق وتأثيراً أبعد مدى..^(١)

فتح سليمان «الأغاني» عرضاً

كمن يخطر على باله أن يبعث بشيء..

بعد عمل مجهد..

وما عرفَ سليمان أنه بذلك يفتح النوافذ كلها للريح تأخذه الى

أرض بعيدة بدأت فيها الرسالة العربية واضحة الحق، كالشمس.. هذه

القضية التي أحبها ورضعها مع حليب أمه..

العروبة..

لنا الفدُ	نحن الشباب
المخلدُ	ومجده

(١) نفسه ص ١٢ .

نحن الشباب

لنا العراق والشام ومصر والبيت الحرام
نمشي على الموت الزؤام إلى الأمام إلى الأمام
وفكر الشاعر عندما سمع هذا النشيد تلوه الحناجر بحماس:
«نحن إذاً لسنا قرية..»

ولا مدينة فحسب.. نحن العراق والشام ومصر والبيت الحرام..
نحن كل هذا إذاً..»^(١)

العراق والشام ومصر والبيت الحرام كلها بلدٌ واحدة لكنها تنتظر
ميلاداً من ضياع..

«الأرض العربية يا انطاكية ما تزال كلها مثلك ضائعة.
تتمخض.. وتنتظر ميلادها العظيم.. أجل تتمخض.. وتنتظر بالرغم
من جميع الكوارث..»^(٢)

العروبة قضية تكتب نثراً.. تكتب شعراً المهم أن تكتب..
شاعرنا لا يجعل الشعر قضيته بل العروبة قضيته..
ليس الشعر همه.. بل العروبة هي الهم..
«الذي أريد أن أقوله للناس.. للإخوة.. للريح.. لكل من أعرف،
ومن لا أعرف..»

(١) باقة نثر ص ٣٠ .

(٢) باقة نثر ص ١٠١ .

لأنني لست شاعراً..

تلك هي الحقيقة التي تكشف أعماق أعماقي بالرغم من الدواوين
التي صدرت لي والتي ستصدر أهداً.

الشعر ليس همي..

ليس الشعر قضيتي..

أنا انسان عربي رأى نفسه يُقتل من داره..

تحت شجرة التوت في قرينته..

يُحرم لغته وتراثه وأرضه وقرينته فجأة.. ويُلقي في الغربة مشرداً أكثر
من أربعين عاماً..

ونظرتُ حولي..

وأنا طفل صغير..

كيف أدافع عن نفسي؟..

وماذا أستطيع أن أفعل ويفعل أمثالي؟..

ووجدتُ الطريق..

حلم ضخم سأحمله ورفاقي.. سنقاتل في سبيله حتى النفس
الأخير..

الحلم الذي عشتُ من أجله وما زلت أعيش هو أن تكون لي دولة
عربية كبرى قادرة على أن تحمي أطفالي فلا يقتلهم من يشاء ساعة
يشاء من يهونهم في ظل شجرة التوت التي يلعبون تحتها..

ويكتبون أولى قصائدهم تحتها

ويُلقي بهم الى مصير أسود يتلقفهم في الطريق»^(١)

التزم شاعرنا العروبة.. دون أن يؤكد على المصطلح هذا.

التزم شاعرنا العروبة دون أن يقول أنا ملتزم.

«لا أحب كلمة ملتزم ولا كلمة التزام

لأنني أرى التعبير مصطنعاً مهما أُجيدت صياغته

قلت أكثر من مرة:

إن الانسان لا يلتزم لون عينيهِ، ولا تنفسه الطبيعي، ولا جلده الذي

يعيش به.

هذه الأشياء هي طبيعته، هي وجوده فلماذا نصرّ على أن نفتعل لها

التسميات...؟»^(٢)

لكن شاعرنا التزم وظلّ ملتزماً سواء رضي بالمصطلح أم لم يرض..

التزم شاعرنا القضية — الحلم..

«أشدُّ عليك.. والخمسون تركض في دمي رَهَقاً

أشدُّ عليك.. جمرأً تُهْبُتُ الواحاتِ محترقا

أشدُّ عليك.. قافيةً وموسيقى

ورمزاً يأكل العنماث..

(١) باقة نثر ص ١٦٣-١٦٤ .

(٢) باقة نثر ص ٢٤٠ .

يَصْلُبُ نَفْسَهُ فِي الشَّمْسِ.. عَيْنِ الشَّمْسِ.. تَحْدِيقًا
أَشَدُّ عَلَيْكَ يَا هَتَمِي الْعَظِيمُ، وَيَا ارْتِعَاشِ يَدَيَّ إِذَا صَافَحْتُ، يَا شَفَتَيَّ
إِذَا حَدَّثْتُ، يَا جَسَدِي

أَشَدُّ عَلَيْكَ يَا وَطَنِي الْكَبِيرُ.. أَعْيِرَكَ الْحَدَقَا
لَتَرْكُضَ فِي عَيُونِي، فِي دَمِي، فِي نَبْرَتِي رَهَقًا^(١)
أَجَلُ..

لَقَدْ جَعَلَ سُلَيْمَانُ الْعَيْسَى مِنَ الْوَحْدَةِ الْقَوْمِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ هَمَّهُ الْعَظِيمِ
الَّذِي يَرِافِقُهُ فِي حُلِهِ وَتَرْحَالِهِ، وَيَأْكُلُ مَعَهُ وَيَشْرَبُ وَيَتَجَلَّى فِي كُلِّ
خَلْجَةٍ مِنْ خَلْجَاتِ قَوْمِهِ، فِي ارْتِعَاشِ يَدِهِ عِنْدَمَا تَصَافَحُ، وَحَرَكَةِ
الشِّفَاهِ عِنْدَمَا تَتَحَدَّثُ، وَفِي كُلِّ خَلِيَّةٍ مِنْ خَلَايَا جَسَدِهِ.

هَذَا الْوَطَنُ الْكَبِيرُ هُوَ أَعَزُّ مَا عِنْدَ الشَّاعِرِ
يَضْحَكِي لَهُ بِأَثْمَنِ مَا لَدَيْهِ لِيَرَاهُ أَمَامَهُ، يَرْكُضُ فِي عَيْنَيْهِ وَفِي دَمِهِ
وَفِي نَبْرَتِهِ رَهَقًا^(٢) الْحَلْمُ الْعَرَبِي رَمَزُ..
رَمَزٌ لِلْأَلَمِ وَالْقَسْوَةِ وَلِلْقُوَّةِ مَعًا

رَمَزٌ لِلتَّمَرُّدِ عَلَى الطُّغْيَانِ الْقَاسِي.. الْحَلْمُ الْعَرَبِي «حَلْمٌ أَشَدُّ حَقِيقَةً»
مِنْ وَجُودِ الشَّاعِرِ.. حَلْمٌ حَقِيقِي.. لَا.. بَلْ أَكْثَرُ مِنْ حَقِيقِي..

(١) سُلَيْمَانُ الْعَيْسَى — أَغَانِ بَرِيشَةُ الْبَرَقِ — قَصِيدَةُ أَقَاتِلْ بِاسْمِكَ الْعَرَبَانِ.

(٢) د. أَحْمَدُ أَبُو حَاقَةَ — الْإِتِّزَامُ فِي الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ — دَارُ الْعِلْمِ لِلْمَلَايِين ط ١ —
١٩٧٩ ص ٤٨٣ .

حلم تجسد في انتصار تشرين.. أعاد بعض أمل الى نفس الشاعر..
الحلم قد يتحقق.. الوحدة.. التحدي.. هل صار الحلم حقيقة؟..

«أشدُّ عليك في تشرين تُمحي دونك الأبعاد
وتُخترق الصحارى والحدود، ويلتقي أهلي بلا ميعاد
وتسقط كل أفنعتي

واكتب بالدم العربي في الجولان أغنيتي
وأعبر، أعبر الماء الذي حزوا به رثي
وقالوا: أنتَ أشطارُ

وقالوا: مصرُ لا عرب، ولا قري، ولا دارُ
ومصرُ كتونسي، كظفار، كالقرآن من جسدي أختارُ؟..
أضوء الشمس، نبض العرق، لون العين، يُختارُ؟
صحدي يا صلاتي الليل، والتابوت، والغرق،
وشدني على الصحراء سيفاً يحق العتبات محترقا»^(١)

فتح سليمان النوافذ كلها للرياح والتزم دون أن يرهق لالتزامه
اصطلاحاً..

ان التزام سليمان العيسى «هو التزام نابع من الابدولوجية البحثية
القائمة على مفاهيم الانبعاث القومي العربي والوحدة العربية الشاملة،

(١) سليمان العيسى — أغان بريشة البرق — قصيدة اقاتل باسمك العرمان.

وامتداد الحضارة العربية في الفكر والدين واللغة والتاريخ والقيم الإنسانية.

ومبادئ الاشتراكية العربية النابعة من صميم حياة العرب وإمكاناتهم ورسالتهم الإنسانية، وتغلب العرب على محتهم الكبرى التي نكبتهم بها الصهيونية ومؤيدوها من قوى الاستعمار، وتحرير الأرض العربية من كل ما هو غير عربي، وكل ما يحمل في ثناياه خطراً على العرب وحضارتهم ووجودهم ومكانتهم بين الأمم.

ويتسم التزام العيسى بالثبات وازدياد التعمق مع الأيام وتوظيف الشعر في سبيل القضية التي آمن بها، وقضى عمره في العمل من أجلها،^(١)

توظيف الشعر في سبيل القضية؟..

أجل

نردد مع شاعرنا الكبير..

«الشعر ليس هتي

ليس الشعر قضيتي..

إنني لست شاعراً

تلك هي الحقيقة التي تكشف أعماق أعماقي،

ليس الشعر قضيتي.. القضية هي الجماهير العربية منذ القصيدة

الأولى وحتى الآن.

(١) د. احمد ابو حافة، الالتزام في الشعر العربي — دار العلم للملايين ص ٤٩٠ .

وحين وزع المقاتلون الفلسطينيون في أصقاع الوطن العربي
وأصقاع العالم بعد مجزرة بيروت نرى شاعرنا يتقد حماسه وقد اقتبس
عنوان القصيدة «الفلسطيني الطائر» من أسطورة «الهولندي الطائر»
المعروفة..

«في الغرب يزرعونك
في الشرق يزرعونك
في العنماي السود، في الضباب
في رجفة الحراب
تودُّ لو تمحوكَ من ذاكرة التراب
ومن رؤاهم..
حين تنطبق الأهذاب
عليك كاهوساً، وحلماً أدمن العذاب
لكنك الباقي على الزمن
حكاية الوطن
يا رائع الشقاء والمحن
يا سيد الشقاء والمحن
حكاية الشعب الذي يقاسم الإله
بقاءه ويدع الحياة
من دمه المجفّف،
المذروِر في ضميرنا،

وفي ضمير قاتليه

يبدع الحياة..»^(١)

حكاية الوطن كابوس وحلم أدمن العذاب..

حكاية الوطن حكاية «رائعة الشقاء والمحن»

حكاية الوطن سيدة «الشقاء والمحن»

حكاية الوطن تصارع.. تبقى.. تحيا رغم الموت المزروع

والمقصود..

حكاية الوطن دم جفّ وذُرّ في الضمائر.

حكاية الوطن دم جفّ ليظهر، ويؤرق، ويزلزل.

حكاية الوطن جذور تهاجر.. تهاجر..

وشاعرنا يعرف بالضبط ماذا تعني الهجرة.

وماذا يعني الاقتلاع،

وماذا يعني أن ننبش في الذكريات الأليمة..

يعرف شاعرنا تماماً ماذا تعني الهجرة:

«ها أيها المذرور في ضميرنا..

وفي ضمير الأرض

يا لهب..

يظهر العرب

يؤرق العرب

(١) قصيدة الفلسطيني الطائر وقد كتبت عام ١٩٨٢ .

يا سورة الزلازل في جنازة العرب
في الشرق يزرعونك
في الغرب يزرعونك
وراء صميت الصميت والنسيان يزرعونك

• • •

يا هجرة الجذور في التراب
يا قصة العذاب
تتأثري في لحمنا، في دمننا الفسيح
في عتمة الوطن، الزلزلة، الجريح
عساهم إن أطبقوا الأجفان
في مصنع القتل الذي يدعونه الزمان
يستشعروا الأمان
عسى يذ القاتل تستريح
من قصة الميث الذي يقاسم الإله
بقاءه، ويدع الحياة
من دمه المذرور في كل الجهات..
يدع الحياة^(١)

فتح شاعرنا الأغاني غرضاً

(١) قصيدة الفلسطيني الطائر — سليمان العيسى.

كمن يخطر على باله أن يعيث بشيء
بعد عمل مجهد

فالتقى عمر بن الخطاب والتقى جبلة ورافقهما أو، رافقاه..
وفتح الشر والحقد والاستعمار على الوطن — القضية سمومه
فأعادها شاعرنا إلى مصدرها بعنف
ورفض للقضية أن تموت..

إنه ليس شاعراً
والشعر ليس همه
ليس الشعر قضيته
إنه حالمٌ كبير..

والحلم دولة عربية كبرى تستطيع أن تحمي أطفاله..
يخشى سليمان الاقتلاع..

لا يكتب الشعر للشعر
بل يكتب القضية التي تؤرقه شعراً
«ما أجمل أن يبحث الفنان عن الجوهر»
هذا ديدن شاعرنا..

أجل.. من العروبة ينبع شعره..
وفي العروبة يصب:

وأنا في أعماق قومي صرخة
تنشظى لا قصيدٌ يُقرأ

حسب لحمن ينتهي في وتري
أنه في صدر غير يبدأ
والشعر القومي الذي يلقي بظلاله وألوانه على كل ما في الوجود
من حولي

على كل ما يمر بي في الحياة.. الحزن، الفرح، الحب، الطبيعة،
المرأة، الوطن، الاطفال، الناس، الثورة، الاشتراكية، الاصدقاء،
الخصوم، الى آخر ما يعرض للشاعر في هذا الشريط الذي نسميه
العمر..

هذا الشعر القومي هو السمة الأولى لتاجي، هو الطابع المميز لكل
ما قلت وما سأقول

هو النهر الذي تتفرع منه كل السواقي، لتصب فيه:

وتسألني..

وظلّ الصمت يرهقني

يشدُّ عليّ مسحني

وألف يدي تمزقني

لماذا لا يرف الورد في بستانك الشاعر؟..

لماذا لا يضيء دربك مبسم ساحر؟..

أما من واحة خضراء تغوي المرهق المجهد؟..

أما من خمرة غير التي في الكأس، إن أنشد؟..

بلى.. يا طفلاتي الحلوة
لكل سلافة نشوة
وأجمل من مآسينا
حياتك بسمه ريًا
وأحلى من أعاصيري
شعاع نصف مخمور
يصب بكأسي السحرا
ويجري في دمي شعرا
ولكني تؤرقني
طيوف ما تفارقني
تشدّ علي.. تسحقني
ملايين من المقل
من الايدي.. تلوح لي:
عطاش نحن.. لا فطرة
وغرقى نحن.. لا نفطرة
وجودك قطعة منا
أشبع عنا..
إن استطلعت النوى، حُنا
وجزّب بعدنا الفتا
وأرمني في الدجى بصري

مدى النظر
وأغمس في اللظى شعري
ويعلي الجرح في صدري

في مثل هذه المقطوعة الشعرية، وغيرها من المقاطع، عبرت عن ذلك بوضوح.. وما أخالني أضيف شيئاً إلى هذا التعبير الشعري حين أحاول الكتابة عنه..

لا أستطيع أن أفهم الحرية على أنها مسألة فردية، تتعلق بوجودي وحدي.. سأكون واهماً إلى حدّ السذاجة إذا تصورت أن خلية بمفردها تستطيع أن تكون حرة في جسد مريض^(١).

فتح سليمان كتاب التاريخ غرضاً،

بل فتح سليمان عينيه

فوجد العروبة تتألم

أنشدها لحناً لا يُنسى

صارت في أعماق الذكرى

نشيداً ألحائه تُحفظ!

(١) في قضايا الشعر العربي المعاصر — ص ٢٧١-٢٧٣ .

الشعر بمفهوم سليمان العيسى

«في المجموعة الكاملة التي حملت عنوان «شعر سليمان العيسى» والتي صدرت منذ أمد قريب عن دار الشورى في بيروت.. يجد القارئ مقدمة مكثفة أوجزت فيها — أو حاولت أن أوجز — ملامح هذه التجربة تحت عنوان «قطرات ضوء على الطريق».. وأعود إلى هذه المقدمة المكثفة..

إلى هذه القطرات الآن لأجدها توميء إيماء، وتكتفي بالإشارة. وتبقى نقاط وزوايا عديدة تحتاج إلى الإضاءة. ولكني مع ذلك سأقتطف منها جراح الأمة وجراح القصيدة التي عانيت منها منذ فحنت عيني على الحياة..
تقول المقدمة:

- الشعر نبض الحياة العميق.. قمة كفاح الإنسانية.
- حين قدر للكلمة أن تحمل جناحين، أخذ الإنسان يحقق معناه بدأ تاريخه الجميل.
- إني لا أستطيع أن أتصور إنسانية بلا شعر. ولكني مع هذا لست شاعراً.
- أنا خلية في جسد.. تبحث عن ملايين الخلايا من أخواتها وتكافح بلا هوادة، لكي يتحرك الجسد، وتتفتح الحياة.

- وجسدي هو امتي.. هذه الأمة العربية العظيمة، المنكوبة، الممزقة التي مدت جسور الحضارة بيني وبين العالم منذ وجد العالم، وكانت الحضارات.

- من هنا.. تبدأ قصة الشعر في حياتي.. وهنا تنتهي.. والشريط الذي سيرضه ديوان سليمان العيسى على القارئ ليس إلا حلمًا رائعًا يقاتل ليتحقق.

- كل منجزات التاريخ العظيمة كانت في يوم من الأيام أحلاماً عظيمة. ومن هذه القناعة انطلقت، وما زلت مصرًا على قناعتي وأحلامي الصلبة.

- الحلم هو الصحة. والواقع الذي من حولي هو المرض، والمرض طارئ مهم طال ومهما استشرى. والصحة هي الهدف. والكفاح من أجل هذا الهدف هو شرط وجودنا ولا بد للشعر أن يمتلك هذا الشرط ليكون شعرًا في رأيي.

- أنا جزء من أمتي. ونحن جزء من الإنسانية — ولا سيما المقهورة المعذبة منها — تريدني أن أكون صادقًا معها، تريدني أن أتفلس برئسي، وأحس بأعصابي وأدافع عن وجودي المهدد.. عن إنسانيتي.. وعندئذ.. سألتقي الإنسانية كلها، وأحيا فيها، وتحيا في.

- كانت الجماهير العربية — وما تزال — قصيدي الأولى أعطتني أكثر مما أعطيتها. كانت جماهير من الكبار أضيفت إليها مؤخرًا جماهير الأطفال.. كما تعرفون.

- العروبة التي غنيتها - وما زلت - نسيج حضاري هائل
تشابكت فيه ملايين الأصول والفروع لتعطي الإنسان أكثر مما أعطاه
شعب على وجه الأرض:

وأبعد نحن من عيسى ومن مضر.. نعم أبعد
حمورابي، وهاني بعمل بعد ض عطائنا الأخلد
ومن زيتوننا عيسى ومن صحرائنا أحمد
ومنا الناس - يعرفها الجد يع - تعلموا أبجد
وكننا دائماً نعطي وكننا دائماً نُجحد

- قديماً قال أجدادنا: الشعر ديوان العرب. أما أنا فلن أتجاوز
الحقيقة إذا قلت: الشعر كهراء العرب. من تجربتي الشخصية بين
المحيط والخليج، وصنعاء واسكندرونة أخذت العبارة، قل: عشتها
رعدة رعدة.

- التجربة هي الينبوع الذي يسقي الإبداع. كيف تخضر شجرة
بلا ماء؟..

- مهمة الكلمة أن تتحول إلى طاقة، إلى فعل. ان الكلمة ليست
مجرد شكل لفظي يتألف من حروف وإيقاعات صوتية انها جزء لا
يتجزأ من وجودنا، من حقيقتنا، من سلوكنا اليومي.

وإذا لم تحمل رصيداً من هذه الحقيقة، ظلت شيئاً يدور في الفراغ
ولا يترك أي أثر.

يايـجـاز: الـكـلمـة هـي الـانـسـان^(١)

سليمان العيسى إذن ليس شاعراً رغم دواوينه. وليس ملتزماً رغم
صوت القضية العالي..

هو حامل القضية... هكذا يريد لنفسه أن يكون... وهذا هو
الشرف الأكبر...

الشعر نشيد.. الشعر موسيقا...

«أنا من المؤمنين بأصالة موسيقانا العربية..

وإذا ما تجلت في شيء، فإنما تتجلى في الشعر... الشعر العربي..

صانع «السمفونيات» الرائعة من أول معلقة إلى أحدث قصيدة غناها
شاعر أصيل.

لقد قام الشعر العربي «بُنْشَد»..

والإنشاد غناء..

أما نحن..

فقد اخترعنا الإلقاء»

والإلقاء — مهما أجاد — كلام، ونبرات.

لا تقرأ الشعر...

بل أنشده..

غَنَّهُ — إذا استطعت —

تضع يدك على كلمة السر فيه.

(١) في قضايا الشعر العربي المعاصر — دراسات وشهادات — تونس ١٩٨٨ .

والغناء همسٌ داخليّ ترتاح له النفس، ويهتز الشعور.

موسيقا صامتة، تنساب في الأعصاب...

قبل أن يكون أصواتاً، وأنغاماً تُسمع.

موسيقا الشعر إذاً شيء مقدس.

شيء من صميم اللغة من صميم التراث...

ولكن أبطلُّ شعرنا على عموده القديم؟..

أليس في موسيقانا، في لغتنا، متسع لألوانٍ من النغم خديدة؟..

هنا آتني إلى موضوع «التفعيلة» التي اتخذها معظم شعرائنا الشباب
أساساً للوزن..

بدلاً من البيت القديم الراسخ بشطريه المعروفين... والتي استعنت
بها — وسوف أستمعن — في كل محاولة.

اتخاذ «التفعيلة» أساساً لوزن الشعر ليس حرية، ولا انفلاتاً، كما
يتوهم الكثيرون.

جرب أن تعزف نغمةً على آلة واحدة.. على عودٍ مثلاً..

ثم جرب أن تعزف النغمة نفسها على خمس آلات أو عشر...

ما أشك أنك ستلاقي من المشقة في الثانية أضعاف ما تلاقيه في
الأولى أحياناً.. لا لشيء،

إلا لأن توزيع النغمة نفسها على «جوقة» كاملة يكلفك جهداً، وعرقاً
يعرفه موزعو الألحان ويأرقون من ورائه الليالي الطوال...

إنني أرثي لمن يستون النظم على أساس التفعيلة «شعراً حراً»
ولكنني أشد رثاء لمن يجربونه وهم يظنون أنهم قد تحرروا من القيود..
إذا كان في أوزاننا القديمة قيد محبب...

ففي التجربة الجديدة ألف قيد...
كلها محببة.

ولنحذر الميوعة.. والتزييف..

يا بهجاز أقول:

كنت أختار موسيقا العمود حيث أراها أصلح، وأغنى. ثم أعدل
عنها إلى موسيقا التفعيلة في جو آخر.. وكان مثلي الأعلى في ذلك
كله هذا السحر الحلال.. هذه الموسيقا الخالدة التي تهدر بألف لون
ولون في القرآن الكريم:

اقرأ معي هذه الآيات الكريمة على سبيل المثال^(١)

«فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان.

فبأي آلاء ربكما تكذبان.

فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنش ولا جان.

فبأي آلاء ربكما تكذبان.

يُعرف المجرمون بسيماهم، فيؤخذ بالنواصي والأقدام.

فبأي آلاء ربكما تكذبان.

ولمن خاف مقام ربه جنتان.

(١) سورة الرحمن.

فبأي آلاءٍ ربكما تكذّبان
ذواتا أفنان.

فبأي آلاءٍ ربكما تكذّبان
فيها عينان تجريان.

فبأي آلاءٍ ربكما تكذّبان
فيها من كل فاكهة زوجان.

أليس في هذه الموسيقى الخالدة ينبوع الشعر الجديدة. ما أجدرنا
أن نتلمذ على بيان السماء!

أحب ألا أدع الحديث عن موسيقا «التفعيلة» قبل أن أشير إلى نقطة
صغيرة، ولكنها، على صغرها، تهمني كثيراً..

تعودت الأذن العربية على الأجيال أن تسمع نغمة البيت المحدد.
ستعود هنا أن تسمع نغمة «الجملة» أو «المقطع» الكامل، يقوم في
كثير من الأجيال مقام البيت الواحد في الشكل وفي المضمون على
السواء.

هل تأذن لي بمثال؟..

إليك هذا «المقطع» على لسان جَبَّلة يخاطب فارسه الغساني، قبل
أن يوجهه برسالة إلى عمر:

قد آن أن تلتقي اللحمه والشدى

يا عمرو، إنا — مثلما تعرف — كنا أبدا

دنا الحمى أو نهدا

في الدهر كنا أهدا
أرومةً واحده.
روحاً وهدا..

إنه — كما ترى — من بحر الرجز، هذا البحر المرن المعروف..
ولكنك تظلمه كثيراً إذا قسمته خلال القراءة إلى أشطرٍ وأبيات..
إنه «جملة موسيقية»
إنه «مقطع واحد»..
ومرة أخرى..

أراني ألجأ إلى القرآن الكريم أتمس منه المثل. اقرأ معي هذا الوعيدَ
المزمجر:

سأصليه سقر
وما أدراك ما سقر
لا تبقي ولا تذر.
لؤاحة للبشر.
عليها تسعة عشر.

ألا نحسن في هذه الآياتِ الخمسِ القصار دفقة واحدة متصلة في
النغم؟..

«جملةٌ موسيقيةٌ» رائعة..
إن صح التعبير؟..

• • •

وربما سأل سائل:

لَمْ تعبثون بالبيت الواحد، فتكتبونه موزعاً على فقرات.. في بضعة أسطر؟..

أما أنا فأعيدُ لغتنا وتراثنا من العبث..

يخيّل إليّ أن توزيع البيت على سطور لا يصحّ إلا في حالات معينة.

حين يريد الشاعر أن يشحن العبارة، أو يزودها بانفعال خاص هذا التوزيع إذًا، وقفات نفسية..

طاقةٌ يراد لها أن تتركز في فقرة، في عبارة من البيت.

ولنأخذ على عجل هذا البيت مثلاً، يقوله عمروُ الفارس الغساني لحبيته، معبراً عن ألمه وسخطه لوقوفه مع أبيها إلى جانب قيصر، ضد أبناء قومه الفاتحين:

أحمي بقية قيصر

بعبيده

لابي، ولا بأبيك

قيصرُ يحتمي.

إن كلمة «بعبيدة» بداية انفجار..

تتلوها عبارة «لابي، ولا بأبيك» حاملة العنف نفسه، والثورة نفسها على موقف سابق عانى منه الفارس ما عانى..

وربما ضاعت كل هذه الانفعالات التي يريدها الشاعر إذا ما كُتِبَ
البيتُ سطرًا واحدًا بلا وقفة ولا فاصل.
تلك نقطة تغفل ثانوية على كل حال..
ولك أن تقرأ الشعرَ وتكتبه كما يحلو لك.

هناك القافية..

ولا بد من همسة حولها ولو طال الحديث..
إنها الشاطئ الذي تنكسر عليه امواج الشعر القديم فإذا هو صخورٌ
وعرة مرة..
ورمال في لين الحرير مرة أخرى..

ويخطفني من يغلن أن الشعر الجديد «شعر التفعيلة» يتساهل
بالقافية، أو يستهين بنبرتها الحلوة، وإيقاعها الجميل..

السهولة عدوة الفن..

هذا رأيي على الأقل.

أعني تلك السهولة التي تفر من الجهد والمعاناة..

لتقف على حافة الركافة والابتذال

لست من علماء التشریح

ولكنني أرى القافية في الشعر الجديد أشبه بذلك الإعزاز للمح

الذي يصدر إلى الأعصاب إلى الجسم كله، فإذا هو يرتعش
ويستجيب.

وما أخطَرَ أن يختل هذا الایماز على الجسم كله
على الحياة..

يقال: إن أقل نتائجهُ الفوضى والشلل
إنني حريص على القافية،
على هذا الشاطئ الجميل،
أما كان لون الشعر الذي أحاوله.^(١)

(١) جملة بن الایهم — ص ١٥-٢٢

شكل القصيدة

«ولعل الشكل الذي انتهيت إليه في قصائدي الأخيرة:

«إلى أبي الطيب المتنبي» في مهرجان المتنبي ببغداد و «دمك الطريق» في ذكرى عمر المختار بمدينة بنغازي. و... «أضم ثراك يا خضراء» في مهرجان قرطاج بتونس و «من أين أبدأ» في يوم فلسطين ببيروت لعل هذا الشكل الذي يستغل نفحة البحر الواحد، فيلونها ويتصرف بها. هو أقرب أشكال القصيدة، وأحب إليّ، ذلك لأنه يحاول أن يحقق المعادلة التي نبحث عنها:

الأصالة والجدة..

الانفتاح على الجديد انطلاقاً من الجذور... من الاسس المتينة التي بني عليها شعرنا وذوقنا العربي عبر التاريخ:

خذمني.. ليس من ورق إهابي

دم التاريخ ينبض في ربابي

أغني.. كل أنات السبايا

حروفي.. كل ملحمة العذاب

أقول قصيدة... حلم جريح

يؤرق مقلة الدنيا كتابي

خذمني.. لست رجع صدى

ولا عددا..

ولم آتِ المدينة كالغريب بدا
ووجهها ليس يعرف في مضارب أهله أحدا
أنا التاريخ والبلدُ
أنا العددُ

وتبقى الأرض، والأرض التي تلدُ
على ناب الأفاعي والخناجر، لم تزل تلدُ
وتحمل وجهها العربي عتقت المآسي فيه والأحزان والسهدُ
وصارا توأمين، وهاديين، الغي والرشدُ
أنا.. أعرف الصحراء بيتي
وأعرف أي سر في السياجِ
خذي في صميم القحط زرعي
جذوري في شرايين الترابِ
خذي... ليس من ورق إهابي^(١)

في قضايا الشعر العربي المعاصر — دراسات وشهادات ٢٧٧-٢٧٨ .

التراث والمعاصرة أو

القديم والجديد...

«يخيل إلي أنني كتّفت رأبي في هذا الموضوع الذي طال فيه الجدل، وكثر الحديث بالفقرة التالية في مقدمة مجموعتي الكاملة:

«أن تعصر المتنبي ولوركا

والمعري.. وغوته

ثم تقف على قدميك..

وترى الدنيا بعينيك

تلك هي الحداثة والمعاصرة..

بكلمة أدق: تلك هي الأصالة فيما أرى»

وأعترف أنني كنت مشدوداً إلى التراث في الفترة الأولى

من نتاجي، وكانت ظلال القرآن، والمعلقات، وديوان المتنبي تحيط

بني، وتشدّ على يدي، في كل قصيدة أكتبها. ولكنني ما لبثت أن

انفتحت على عوالم جديدة عندما أخذت أطلع بشغف الآداب

الأجنبية، وشعراء الغرب. بالمناسبة، إنني أحسن الفرنسية والإنكليزية،

وأستطيع أن أقرأ عن طريق هاتين اللغتين معظم النتاج الأدبي في العالم.

مبكراً قرأت الشعر الفرنسي وحفظت الكثير منه:

راسين، كورنيه، مولير، فكتور هيغو، لامارتين، وأخيراً بودلير.
فرلين، رامبو، إلى آخر القائمة..

وفي مطلع الشباب، كنت أقرأ أيضاً الانكليزي وأنثر بمدسته
الرومانسية إلى حد بعيد:

بيرون، شيلي، كتييس، وردزروث..

ثم اتسعت مطالعاني فقرأت كبار شعراء الألمان والروس،
والأميركان، والإسبان..

وكان غارسيا لوركا أقرب هؤلاء الشعراء إلى نفسي وأحبهم إلي.
ومررت في تجربتي بالمدارس الشعرية من الكلاسيكية.. إلى
الرومانسية، إلى الرمزية، فالواقعية الجديدة..

وكان لكل من هذه المدارس أثرها في كتاباتي.. ولكنني — فيما
أرى — لم أنثر بواحدة من هذه المدارس كما تأثرت بالواقعية الشعرية
الجديدة... ولا سيما بعد أن عشت زمناً مع قصائد ماها كوفسكي،
وبابلو نيرودا، وناظم حكمت، وكاتب ياسين.

وترجمتُ مع زميلة لي تجيد الانكليزية مجموعة سيلدن رودمان
«مائة قصيدة من روائع الشعر الحديث».

ومع هذا... فقد بقيت تجربتي الشعرية تجربة عربية تضرب
بجذورها في أعماق الصحراء.. وتناهى عن أن تتزيا بخير زيتها العربي
الأصيل.

ليس في نتاجي كله أثر لأسطورة يونانية مثلاً.

ولم يدخل «سيزيت» وأضرابه أية قصيدة من قصائدي.. بالرغم من قراءتي الدائمة، وشغفي بالاطلاع. كنت ألوم صديقي الشاعر المبدع المرحوم بدر شاكر السياب ونحن على مقاعد الدراسة، في دار المعلمين العالية ببغداد، حين كنتُ أجده يركض وراء كل حكاية غريبة عن تاريخنا وأسطورة لم ينسجها تراثنا ويحاول جاهداً يتبناها وأن يتكىء عليها في شعره.

كنت أقرأ ما يقرأ.. وأتذوق ما يتذوق.. ولكنني أؤثر أهدأ أن أقف على قدمي، وأرى الدنيا بهمني..^(١).

(١) في قضايا الشعر العربي المعاصر — دراسات وشهادات من ٢٧٣-٢٧٤ .

الخطابة في الشعر

«وأراني هنا أستعير التعبير الذي يستعمله النقاد بكثرة حين يتحدثون عن الشعر المسموع النبرة الذي يتجه أصلاً إلى الناس ليقول على مسامعهم ما يريد.

إنني لا أستطيع أن أتصور قصيدة تقال دون أن يكون لها سامع أو متلقٍ تنجه إليه.. وإلا.. فلمن تقال؟.. ولماذا تقال؟..

منذ خيمة «الأدم» التي كانت تضرب للنايفة الذبياني في سوق عكاظ، إلى آخر قصيدة حديثة ألقاها شاعر من شعراء الشباب في مهرجان قرطاج بتونس.

فإن شعرنا العربي يخاطب الناس، يحاول أن يسجل همومهم، ويحمل إليهم أفراحهم وأتراحهم ومطامحهم وأحلامهم... وما يزال... العلة ليست في الكلمة الجميلة القادرة التي تنجه إلى السامعين، لتهمهم، وتصل إلى أعماقهم، وإنما العلة، كل العلة، في الكلمة الرديئة الهزيلة التي لا تستطيع أن تفعل شيئاً مهما علت نبرتها.. والتي ليست من الفن، ولا من الشعر في شيء.

قلتُ هذا غير مرة.. وسأرده دائماً.

كانت قصائد المتنبي، وهو يسجل بطولات سيف الدولة، ومعارك الجيش العربي، خطباً شعرية مجلجلة كالرعد، وما أظن أحداً يجرؤ

على اتهام المتنبي بأنه كان شاعراً رديفاً حين كان ينشر روائعه تلك
على مسمع الناس، ومسمع الدهر معاً:

وما أنا إلا سمهري حملته

فزَيْن معروضاً، وراع مسدداً

وما الدهر إلا من رواة قصائدي

إذا قلتُ شعراً أصبح الدهر منشداً

فسار به من لا يسير مشمرا

وغنى به من لا يغني مغردا

أما أنا، فقد كانت الجماهير العربية قصيدتي الأولى — كما قلت
— وما تزال وكانت القصيدة التي ألقيتها على الناس، أشبه بكرة النار
أرمي بها إليهم، ليردوها إليّ أكثر حرارة، وأشد اشتعالا.

صحيح أن الشاعر قد يضحي بشيء من «فتية» القصيدة عندما
يعيش في صميم الجماهير، في صميم الحدث، ولكنه مطالب أهدأ بأن
يحقق المعادلة الصعبة.. أن يرقى بالناس إلى مستوى الجمال والفن،
دون أن يضحي بأحد طرفي المعادلة وتلك هي المشكلة:

ما أصعب أن يكون الإنسان شاعراً

وما أروع أن يكون^(١)

(١) نفسه، ص ٢٧٤-٢٧٥ .

مولد القصيدة

الإلهام

أومضُ في الأعماقِ لمحِ الشهاب
في شارع في هدأة، في اصطخاف
أومضُ وخز البرق في رأسه
أتركه.. أمضي وراء السحاب
بظلتي ضمتُ.. يلمُ الرؤى
ينسى بدأ دقت بقلب الضباب
وينطوي يوم، وعام، فما
للعمر، للتاريخ عندي حساب
عمري هو التاريخ.. إشراقتي
هي المدى لا ينتهي، لا يجاب
وبغمة ينفذ عن جفنه
شيئاً كما رف جناحا عقاب
كما هوت فوق الثرى قطرة
من غيمة مجهولة، من سراپ
وهم... أعادت؟.. إنه صوتها
أعرفه، يهمس خلف الحجاب

يشتد، يجتاح بلا موعده
 بلا صدى، يندرنى بالعقاب
 بضياء بالذكرى... يصب السما
 في شفتي غممة من رباب
 يا للصراع الحلو.. ما بيننا
 أرهفته حتى استجاب..
 وهكذا تولد القصيدة في رأس الشاعر..
 ثم يبدأ الصراع الحلو المر
 مع الفكرة.. مع الصورة.. مع اللفظة.. مع الموسيقى.. مع عشرات
 العناصر الفنية الدقيقة التي لا يمكن تحديدها حتى تكتمل خلقاً سوياً..
 إنني أكتب القصيدة الطويلة من ثمانين إلى مائة من الأبيات.. في
 يوم واحد.. ثم أنتحها في يومين أو ثلاثة..
 وربما كانت عملية التنقيح هذه أهم وأدق ما في كتابة الشعر
 عندي..^(١)

(١) في قضايا الشعر العربي المعاصر — دراسات وشهادات ص ٢٧٥-٢٧٦ .

عندما يغني سليمان العيسى للأطفال

البداية الحقيقية للكتابة للأطفال كانت في أعقاب نكسة ١٩٦٧ .
قبل ذلك كتب سليمان الشعر للصغار ولكن ليس بهذا الزخم.
- لماذا كتب سليمان للأطفال؟...

«أنقل اليكم همومي وأحلامي

يا أعزائي الصغار..

وعندما تكبرون قليلاً

سترون أنني لم أخدعكم..

لم أضيع وقتكم الغض الثمين بشيء تافه»^(١)

- لماذا كتب سليمان للأطفال؟..

«أنا اعتقد أن الشجرة العظيمة بنتُ الغرسة العظيمة. وأن الصغير

الذي يحمل في طفولته فكرة كبيرة هو الذي يخلق الوطن الكبير»^(٢)

- لماذا كتب سليمان العيسى للأطفال؟..

«شعراؤنا — حفظهم الله — ما زالوا يخجلون من وضع بسمه

الملائكة على شفتي طفل أعني من كتابة نشيد للصغار يخجلون أو

يترفعون.. أو يتهيون..

(١) مقدمة غنوا يا أطفال ص ١٧ .

(٢) نفسه ص ١٨ .

لا أدري..

تغلل النتيجة واحدة..

ويظل أطفالنا محرومين من بسمات الملائكة على شفاههم..

أعني من الاناشيد الجميلة..

من الشعر الحقيقي

ويظل أدبنا العربي ذو التاريخ العظيم محروماً أحلى ينابيعه أعني:

شعر الاطفال..

ورحم الله استاذنا احمد شوقي الذي أحس هذا قبلي وفتح لنا

الطريق..

أهاً كان الطريق؟^(١)..

- لماذا كتب سليمان العيسى للاطفال؟...

في مقدمة مجموعتي غنوا يا أطفال قلت:

بالشمس والهواء والماء.. تفتح أزهار الربيع

وبالموسيقى والحركة، والغناء

يفتح الاطفال على كل جميل ورائع

دعوا الطفل يغني.. بل غنوا معه أيها الكبار..

إن الكلمة الحلوة الجميلة التي نضعها على شفثيه هي أئمن هدية

نقدمها له.

لكي يحب الاطفال لغتهم

(١) مقدمة غنوا يا أطفال ص ١٤ .

لكي يحبوا وطنهم
لكي يحبوا الناس، الزهر، والربيع، والحياة
علموهم الأناشيد الحلوة..
اكتبوا لهم شعراً جميلاً
شعراً حقيقياً..

يتابع شاعرنا قوله:

وتوالت كتاباتي الشعرية للصغار من سن السادسة إلى سن الخامسة عشرة، وقد تمتد الطفولة في أحدث نظريات التربية وعلم النفس إلى سن الثامنة عشرة موزعة على مراحل عدة بالطبع.

وحاولت في العام الماضي أن اجمع ما كتبت عن شعر الاطفال، فإذا هو أربعة أجزاء يربو كل منها على ثلاثمائة صفحة من القطع المتوسط والقطع الكبير..

تصدر كلها تبعاً عن «دار الآداب للصغار» و «دار الشورى» في بيروت مزينة بالألوان والرسوم.

وتنوعت هذه الكتابات الشعرية من النشيد القصير المركز الذي يتناول حياة الطفل في البيت، والمدرسة، والشارع، والطبيعة، الخ..
إلى القصة الشعرية الصغيرة.

إلى المسرحية الشعرية التي تكتب لتلحن وتمثل.

إلى المسلسلات الشعرية التي تألف من حلقات عدة بلغ بعضها
أحدى وعشرين حلقة: ملحمة القطار الأخضر.

ولقد حرصتُ ما استطعتُ على أن تتوافر في النشيد الذي اكتبه
للمصغار العناصر التالية:

١ - اللفظة الرشيقة الموحية، الخفيفة القل، البعيدة الهدف، التي
تلقي وراءها ظلالاً وألواناً، وترك أثراً عميقاً في النفس..

٢ - الصورة الشعرية الجميلة.. التي تبقى مع الطفل مرة أنتقطها
من واقع الأطفال وحياتهم، ومرة استمدتها من أحلامهم وأمانهم
البعيدة.

٣ - الفكرة النبيلة الخيرة التي يحملها الصغير زاداً في طريقه،
وكنزاً صغيراً يشع ويضيء.

٤ - الوزن الموسيقي الخفيف الرشيقي الذي لا يتجاوز ثلاث
كلمات أو أربعاً في كل بيت من أبيات النشيد.
إنني أحرص على:

أن يتشابه في النشيد الذي اكتبه للمصغار: الوضع والغموض،
الواقع والحلم، المحسوس والمعقول، الخيال والحقيقة. كل ذلك
في كلمات مدروسة بعناية.

ويبقى الغناء الهدف الأول من كل نشيد.

ولقد كانت دهشتي — وما تزال — اكبر من كل ما توقعت حين
وجدت الاطفال في سورية، وفي غيرها من الاقطار العربية، يقبلون

على هذه الأناشيد، ويحفظونها، ويغنونها، ويتجاوبون معها في حماسة ولذة لم تخطر لي على بال.

إنهم يلحنون الأناشيد لأنفسهم ويدعون لها الإيقاع الذي يروقهم، قبل أن تصل إليهم ملحنة من قبل الموسيقيين الذين أتعاون معهم منذ البداية لتلحين كل كلمة شعرية اكتبها للصغار، وتقديمها إليهم في عمل فني تربوي قومي متكامل.

بقي عليّ أن أورد في هذه الدراسة بعض الأناشيد التي يرددها أطفالنا في كل مكان، وللقارئ أن يحكم بنفسه لها أو عليها:

فلسطين

فلسطين داري ودرب انتصاري
نظلل بلادي هوى في فؤادي
ولحناً أبيا على شفتيا

* * *

وجوه غريبة بأرضي السليمه
تبسم ثماري وتحتل داري

* * *

وأعرف دربي ويرجع شعبي
إلى بيت جدي إلى دفء مهدي

* * *

فلسطين داري ودرب انتصاري

النجار...

عمي منصور نجار
يضحك في يده المنشار
يعملُ بعملٍ وهو يغني
في فمه دوماً أشعار
قلتُ لعمي: عندي لعبة
اصنع لي بيتاً للعبة
مرَّ السَّراسر، وقال:
أنا أهوى الاطفال
بعد قليل رحَّ إليهِ
شيءٌ حلَّو بين يديه
سواء عمي منصور
أحلى من بيت العصفور
عمي منصور نجار
يبدع في يده المنشار

سليمان العيسى

الرسام الصغير

أرسم ماما أرسم بابا
بالألوان
أرسم علمي فوق القمم
أنا فنان

* * *

أنا صياد اللون الساحر
أرض بلادي كنز مناظر
دعني أرسم ضوء النجم
دعني أرسم لون الكرم
اكتب شعراً
بالألوان
أحيا حراً
أنا فنان

سليمان العيسى

وأخيراً.. لماذا شعر الاطفال؟.. لماذا تكتب للاطفال؟..
سؤال طرح عليّ مراراً، والجواب:
لأن الصغار فرح الحياة، ومجدها الحقيقي.. لأنهم المستقبل
لأنهم ثروتنا القومية الأولى...
لأنهم الشباب الذي سيملأ الساحة غداً أو بعد غد..
لأنهم امتدادي وامتدادك في هذه الأرض..
ألا يكفي هذا ليشدني إلى اصدقائي الصغار؟... ويربطني بهم يوماً
بعد يوم؟..

* * *

إنني لا اكتب للصغار لأسليهم
ربما كانت أية لعبة أو كرة صغيرة أجدى وأنفع في هذا المجال.
إنني انقل إليهم تجربتي القومية..
تجربتي الإنسانية..
تجربتي الفنية..
أنقل إليهم همومي.. وأحلامي..
غنوا معي إذا..
أبها الملايين من الأطفال الذين حرموا الضوء، والفرح،
والنشيد الجميل..
كما حرموا الثوب، والدف، والجذاء الجميل، غنوا للحرية،
وللحب،

والحياة..
يا أمل الحرية،
وينبوع الحب،
وفرحة الحياة^(١)

• • •

هذا ونشير إلى تعليق «محمود أمين العالم» حول شعر الأطفال عند سليمان العيسى:

«وقد بهرني شعر الأطفال.

وخفت في البداية أن يكون مجرد شعر تقريري إعلامي تثقيفي مع أنني في حدود هذا الشعر لست ضده. وبخاصة إذا كتب للأطفال..
ولكن عندما تأملت أكثر وأكثر هذا الشعر البسيط للغاية، وجدته شعراً بالغ العمق وبالغ الدلالة الفنية.
عندما نتأمل قصيدة النجار:

عمي منصور نجار

بضحك في يده المنشار

فالقصيدة هنا ليست صورة تقريرية عادية...

المنشار يضحك

(١) في قضايا الشعر العربي المعاصر — دراسات وشهادات تونس ١٩٨٨ ص

فأتابع هذا المنشار..

ماذا يعمل؟..

يشبه بيت العصفور أو هو أحلى منه.

فجأة تصبح دلالة هذه القصيدة البسيطة في غاية العمق ذات معنى

إنساني..

الإنسان وإبداع الجمال، وإبداعية الإنسان نفسه.

والقصيدة الأخرى الرسام الصغير:

أرسم ماما أرسم بابا

بالألوان

أرسم علمي فوق القمم

أنا فنان

القصيدة من أولها إلى آخرها — هي علاقة بين اللون والحرية

والعلم الذي فوق القمم.

والقيم دخلت من غير تحديد فهي قيم ثقافية كبيرة تبث بثاً

إيحائياً في الطفل بشعر له المعنى الإعلامي الثقيفي ولكن بقيمة

شعرية^(١).

وهنا لا بد من الاستماع إلى شاعرنا وحول سعادته التي يلقاها حين

يعيش مع الأطفال:

(١) نفسه ص ٢٨٥ .

«عندما وضعتُ بعض هذه الاناشيد، تعمدتُ وكافحتُ أن أضعها
في كتب الصف الأول والثاني والثالث الابتدائية، لكي يحفظها كل
طالب في المدرسة.

أنا جداً سعيد بها.

تجعلني أعيش في عالم أحقق به شيئاً من هذا الحلم الذي عشت
طوال حياتي وأنا أكافح من أجله.

فالموضوع ليس موضوع كتابة، فالكتابة هي الخطوة الاولى ولعلها
الخطوة الثانية جداً بالنسبة لحياة الشعر التي أعيشها مع الاطفال.

فتح سليمان كتاب التاريخ غرضاً،

فتملقت العروبة وتملقت الايديولوجية ففتّاها...

فتح سليمان العيسى دفتر ذكرياته

عاذ طفلاً غنى للصغار

وغنى معه الكبار.

ايهان بقاعي

٩٣/١٢/٢

طراد الكبيسي

سليمان العيسى شاعر جعل الشعر وسيته إلى الناس. لم يجعل الشعر رسالة لذاتها، إذ ماذا يفعل الناس بالشعر إذا كانوا معذبين وجائعين.. ومع ذلك فسليمان يرى أنه لا يمكن تصور إنسانية بدون شعر، لذا جعل الشعر وسيته المقاتلة من أجل توفير الأمن والخبز والحرية والكرامة للناس.

نذكر سليمان: كان صوتاً هادراً في الخمسينات والستينات وقبل هذا لمن هم أكبر منا طبعاً.

وأخال أنني ما أزال أسمع ذلك الصوت يترنم في جنبات الجامعات في بغداد ودمشق وفي الملتقيات والمنتديات الأخرى في شتى أقطار الوطن العربي.

سليمان يدعو الشعر: كهرباء العرب، والعرب كانت تدعو الشعر ديواناً، وأظن أن تسمية كهرباء العرب واضحة الدلالة في شعر سليمان بالذات.

قد تكون التسمية غير مقبولة من آخرين، ولكن في شعر سليمان أعتقد أن لها دلالتها، فهو الشعر الذي يجلب الناس إليه بقوته الانفعالية والعاطفية، ولا أعرف إن كان هناك فيه قوة تنويرية، أن يكفني إثارة الحماس، وأظن مع ذلك أن تعبير العرب، أن الشعر ديواناً، أدق وأكثر

دلالة، فهو يحفظ مآثرها ويوعّي جهّالها ويهذّب تذوقها ولهذا، فهو
أخلد من شعر الانفعال أو الكهرباء.

سليمان ضد اللفظية والشكلية، بل ضد الكلمة التي لا تكون جزءاً
من نسيج الوجود العربي كله.

فلأمة أوقف نفسه وحياته وشعره، منها بدأ وبدأ وإليها يعود.
وهذا يفسر الوضوح المعبر عن نفسه في شعر سليمان، فهو يعتبر
حريته حتى في الإبداع، لهذا فهو ملتزم بهذا القدر الذي وجد نفسه
فيه، وإنه لسعيد بذلك، وإننا رغم قراءاته وترجماته في الآداب الأجنبية
لا نكاد نجد أثراً لتلك الآداب في شعره.

إنه البدوي المكلكل على بشره، أو ما أشبه ذلك، لأنه يمتج من بشر
عربية ولا يريد أساساً أن يرتوي من غير هذه البشر، وقد عبّر عن هذه
المرحلة بقوله:

بقيت تجربتي الشعرية تجربة عربية تضرب بجذورها في أعماق
الصحراء وترفض أن تتزّيا بغير زيبها العربي الأصيل.

[...] لا نستطيع أن نقول [لسليمان] لماذا تحس وتعيش هذا؟.

لماذا شعورك هو بهذه الحرارة تجاه هذه القضية أو تلك؟..

هل إن سليمان حقق ما قاله في شعره فعلاً؟..

تلك مسألة أخرى خارج نطاق هذا البحث^(١)

(١) في قضايا الشعر العربي المعاصر — دراسات وشهادات — تونس ١٩٨٨، ص

ادونيس

أرى أن سليمان العيسى ظاهرة في الشعر العربي، بمعنى هو أماننا شاعر اطلع — كما قال لنا — على الشعر الأجنبي، إما بلغته الأصلية أو مترجماً إلى لغات أخرى يعرفها، ومع ذلك بقي دون أي تأثير بما قرأه. وحسب تعبيره: بقي شعره لا يتزأ إلا بالزّي العربي الأصيل.

وبالنسبة لي، هذه مناسبة مهمة جداً لكي أطرح عليه سؤالاً يهمني كثيراً وهو، أن كلامه هنا، يشير إلى أن هناك زياً عربياً أصيلاً للشعر، كأنه يبدو كجواهر ثابت، فهل فعلاً هناك زّي عربي أصيل للشعر ثابت؟..

وعلى سبيل التبسيط أقول مثلاً:

إذا أخذنا عمر بن أبي ربيعة وأخذنا أبا العلاء المعري وكل منهما يختلف عن الآخر كلياً، فأين نجد الزّي العربي الأصيل، في المعري أو في عمر بن أبي ربيعة أو في كليهما؟ أريد أن أستفهم حول هذه المسألة.^(١)

(١) نفسه، ص ٢٨٣-٢٨٤ .

أحمد عبد المعطي حجازي

علينا أن نخرج أنفسنا من هذه المتعة واللذة اللتين أغرقنا فيهما الأستاذ سليمان العيسى لكي نطرح بعض الأسئلة أو نتساءل بيننا وبين أنفسنا حول بعض المفاهيم التي عبّر عنها الأستاذ العيسى: هذه الخصوصية أو الالتزام، وإن كان هو لا يحب المصطلح، الذي نجده في شعر الأستاذ العيسى كونه شاعراً قومياً، ماذا يفرض عليه هذا الاختيار من الوجهة الفنية؟..

هل يكون الشاعر قومياً لأنه يعالج موضوعات قومية؟..

وهل يكون قومياً لأنه يتكلم عن الوحدة العربية؟..

وماذا يجب عليه أن يقول في هذا الموضوع؟..

هل يكون قومياً عندما يعبر عن انحيازه لقضية الوحدة العربية ولا

يكون قومياً عندما يرفض هذا الشعار مثلاً؟..

هل يكون قومياً بفكره والتزامه الأخلاقي والسلوكي والسياسي أو

هو قومي بشعره، وقوميته بشعره؟..

هل تتعدى صياغة أفكاره صياغة شعرية إلى الاختيارات الفنية التي

تفرض عليه مثلاً لغة دون لغة، أداة دون أخرى؟..

لقد تحدث مثلاً عن أنه، بالرغم من ثقافته الأدبية الواسعة في

اللغات الأجنبية، ظل شعره ينبع من أعماق الصحراء، وقد فسر ذلك

بأنه لم يستفد من الأسطورة الأجنبية كالأساطير اليونانية والبابلية والفينيقية إلى غير ذلك.

هل تعتبر الاستفادة من الأساطير الأجنبية ضد الشعر القومي؟..
وعندما كان يتحدث ابن الرومي، على ما أذكر، عن عطار: عطار السماوي المكان أبونا حين نسبتهم أبوهم وعطار عند الآراميين هو إله الفن والشعر وهو الذي كان يقترحه العقاد اسماً لمجلة أبوللو ويرفض أبوللو لأن أبوللو اسم يوناني وهذا قريب من الموقف الذي يتحدث عنه الأستاذ سليمان العيسى.
وحول مسألة الواقعية الجديدة، ماذا يقصد بالغبط الأستاذ سليمان بقوله: إنه قد عبر مختلف المدارس الفنية من الكلاسيكية إلى الرومنظيقية إلى الرمزية ولكنه لم يتأثر بالسابقة كما تأثر بالواقعية الجديدة؟^(١)

(١) نفسه، ص ٢٨٤ .

جعفر ماجد

هي علاقة قديمة بشاعرنا الأستاذ العيسى منذ أيام الدراسة، فقد كنا نردد أشعاره ونتغنى بها في الخمسينات والستينات.

فلسليمان العيسى في نظري، ظاهرة غريبة لأنه يمثل أ نموذجاً فريداً من الشاعر الملتحم بالجمهور في القرن العشرين، وقد كانت الجماهير العربية تهتز لسليمان ولأناشيده في الاذاعات، وكانت تقرأ بلهفة متزايدة، تلك القصائد اللاهبة التي تأتينا من حين لآخر.

وذاث يوم، تغير وجه العالم العربي وتغير معه وجه سليمان العيسى. أقول: تغير، حتى لا أقول إن صوت سليمان العيسى يكاد يختفي. أنا أو من بصدق تجربته وأصدقه حين يتحدث عن الأطفال رجال المستقبل ولكني أسأله: لماذا لم يحدثنا عن هذه التحولات الفكرية؟.. هل حدثت أشياء أهمتها في عرضك فرضت عليك أشكالاً معينة وأغراضاً أدبية معينة؟.. هل هذه الأحداث التي جذت في العالم العربي هي التي صرفتك عن الجمهور الكبير إلى جمهور الأطفال؟..

إن الكبار أصبحوا لا يهتزون للأغاني التي كنت تغنيها لهم من قبل، بمعنى.. هل هرب عنك الجمهور ام أنت ابتعدت عنه؟..^(١)

(١) نفسه، ص ٢٨٥ .

سليمان العيسى مجيباً

ليس الموضوع أن نتحدث عن الوحدة العربية مطلقاً. أنا لم أتحدث عن الوحدة العربية إلا من منطلق واحد، طفل ينتزع من أحضان بيته القرميدي، كما قلت، وهو في العاشرة، يحرم من بيته وأمه وأخيه. أرجع إلى قريتي بعد ثمانية وعشرين سنة. أزورها مرة واحدة. أخذ معي أطفالي تخرج القرية كلها لاستقبالني.

أول سؤال يطرح علي: من هذا؟.. أول شخص يعانقني ويقبلني. يقولون لي: من هذا؟.. أجيب: آسف لا أعرف.

يقولون لي: إنه أخوك تركته وهو في الثامنة من عمره. أصبح رجلاً وله أولاد.

- ومن هذه الثانية التي عانقتني؟..

- هي أختي الوحيدة..

أليست هذه مأساة في حد ذاتها؟.. هل يلومني أحد إذا تحدثت عن همي القومي بعد ذلك...

هل هذا حديث عن الوحدة العربية؟..

هل يمكن أن تكون الوحدة العربية غير هذا السؤال الذي طرح علي: من هذا، فلا أعرف، فإذا هو أخي، حرمني منه لا أدري من، سئمه الاستعمار، سئمه الاستغلال، سئمه الكوارث التي محقتنا

وسحققتنا، لا أدري ماذا أسميه. كل ما هنالك هي أنني عشت هذا الواقع وعاشه كل منكم..

لا أزال تطفر الدمعة من عيني عندما أقرأ بعض مذكرات إخوتنا التونسيين، عندما كان الدرك الفرنسي يدخل إلى بيت الفلاح التونسي هنا، ويجلد الرجل أمام زوجته، والزوجة أمام رجلها، والأولاد والأطفال أمام أهلهم، ويخرج من البيت بعد أن يهينهم ويقلب كل شيء. كيف تتصورون وضع أسرة من هذا النوع؟..

وقد قرأت الكثير عن ذلك في تونس وفي الجزائر وفي المغرب وفي المشرق وفي كل مكان.

في فلسطين طبعاً جرحنا الأكبر، وأنا أتحدث عن محتتي الأولى، عن لواء اسكندرون، لأن الجرح الصغير قد زاد في الجرح الكبير بعد ذلك عندما جاء الخنجر الرهيب في صدر هذه الأمة — خنجر فلسطين. المأساة واحدة!

الدرك الذي كان يجلد الأسرة التونسية، والدرك الذي كان يجلد الناس في قريتي، هو نفسه الدرك الأجنبي.

هو الصهيوني الذي يأتي من أعماق أعماق بولونيا أو الأرجنتين ليحتل بيت أحد أصدقائي في طول كرم أو في غزة.

أحد زملائي في جامعة الأردن يقول لي:

أنا أشتي أن أزور بيتي الذي يحتله الآن واحد من بولونيا. هو

نفس البيت، نفس الفراش الذي كنتُ أنام عليه، وأنا أحسُّ أن أزوره وأراه فقط، لأنني لا أستطيع أن أستعيده..

أليست هذه قافية لأن نكتب شعراً قومياً؟..

ثم ما هي القومية بعد ذلك إذا لم تكن كل هذه المآسي والمحن؟..

- الواقعية الشعرية الجديدة، ذكرتها عرضاً. أنا شخصياً متأثر بها كثيراً لأنني وجدتها الأقرب إلى التعبير الذي أريده في هذه المرحلة، هذا المزيج من همك تضيغه إلى الواقع، هو الواقعية الشعرية التي استفدتُ منها كثيراً.

- وبالنسبة إلى الشعر الأجنبي: أنا تأثرت، وأنا تلميذ، بالشعر الاجنبي بمقدار ما تأثرت، وأنا تلميذ، بالشعر العربي أيضاً.

لوركا لا يزال يهزني كلما قرأته منذ ربع قرن إلى الآن، ولكني قلت: لم أشأ أن أترى بغير الزي العربي. تأثرت كثيراً بالشعر الأجنبي، وأنا مدين له بكثير من الصور والأفكار، حتى الانفعالات التي أخذتها. لوركا مثلاً، مايا كوفسكي، لكني كنتُ مصرّاً دائماً على أن أتنفس برئتي كما قلت، وأن أعيش بأعصابي.

والمسألة الثانية:

فنية القصيدة: هذه مشكلة عانيتُ منها الكثير.

كيف أحرص على فنية القصيدة وعلى النبضة الغامضة الخفية في جوهر الناس؟..

الحقيقة أنني كنتُ أشعر أنني أكتب شعراً يضيء فيه بكثير من الفن
عندما أريد أن أصل إلى قلب هؤلاء الناس الذين نحبه.

أجد كثيراً من الحرج في ذلك، وما أزال أعزّي نفسي عن هذا
كله، بأن الشعر لا يهمني، وإنما تهمني القضية.

أن يموت شعر آخر لا يهمني لكن يهمني ويؤرقني أن تموت القضية
وأن يموت الحلم الذي عشت من أجله..

[أما عن الالتحام بالجمهور فانا] كما صورت نفسي وعرفتُها:

خلية في جسد كبير، أما الكلمة، فليس من الصعب أن تلتحم
بالجمهور، لأنني عرفت الكلمة عندما تتحول إلى جزء من سلوكنا
اليومي.

أنا لا أتصور أن أتكلّم شيئاً وأعيش شيئاً آخر، الكلمة هي
الإنسان^(١).

(١) المصدر السابق، ص ٢٨٦-٢٨٧ .

أُقاتِلْ بِاسْمِكَ الْعَرَبِيَّانِ

«إلى وطني العربي الكبير...

أنت... عشرون وطناً... وخنجر

وأنا...»

أشدُّ عليك.. والخمسون تركضُ في دمي رَهَقًا

أشدُّ عليك.. بجمرًا تُنبِثُ الواحات محترقا

أشدُّ عليك.. قافيةً وموسيقى.

ورمزاً يأكلُ العتمة..

يصلب نفسه في الشمس.. عين الشمس.. تحديفا

أشدُّ عليك يا هتمي العظيم، ويا ارتعاش يدي

إذا صافحت، يا شفتي إذا حدثت، يا جسدي

أشدُّ عليك يا وطني الكبير.. أعيرك الحدقا

لتركضَ في عيوني، في دمي، في نبرتي، رَهَقًا

أشدُّ عليك.. في الخمسين.. طفلاً يكْبُرُ الألم

وتكبر أنت.. والحلم

على قرميد ضيقتنا.. هو الحلم

كأنني ما أزالُ على فمِ «العاصي» تراتيلا

أَجْرُبُ أَنْ أَدُقَّ عَلَى الْمَحِيطِ قَصِيدَتِي الْأُولَى
وَأَنْشُرُ نَارَ قَافِيَتِي عَلَى الْيَمَنِ
وَأَسْمَعُ فِي الْخَلِيجِ دَوًى أَحْلَامِي وَيَسْمَعُنِي
أَنَا الطِّفْلُ الَّذِي مَا زَالَ يَكْبُرُ فِيكَ مُخْتَرِقًا
فَخُذْ حَذَقِي لِأَبْصِرَ فِيكَ، وَأَكْبِزْ فِي دَمِي رَهَقًا.

أَشَدُّ عَلَيْكَ.. وَالنَّاعُونَ فَوْقَ سَرِيرِكَ الْأَزْلِيِّ
أَذَابُوا فِي أَغَانِي الْمَوْتِ، مَوْتِكَ حَبَّةَ الْحَقْلِ
أَقَامُوا الْعَرْسَ بَعْدَ الْعَرْسِ، بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْقَبْرِ
نَفُوكَ مِنَ الضِّفَافِ، مِنَ الصَّحَارَى، مِنْ مَدَارِ الْحَرِّ وَالْقُرَى
وَمَا هَاجَرَتْ مِنْ جَسَدِ الرَّمَالِ الشُّخْرِ، مِنْ جَسَدِي
وَمَوْتِكَ كَانَ أَكْبَرَ مِنْ مَقَابِرِهِمْ
وَأَصْلَبَ مِنْ خَنَاجِرِهِمْ
وَأَشْرَ مِنْ جَمِيعِ خَصَائِدِ النَّاعِينَ فِي الْبَلَدِ
فَخُذْ حَذَقِي، أَشَدُّ عَلَى ثَرَاكِ، أُعِيرَكَ الْحَذَقَا
لَتُرَكِّضَ فِي عَيْوَنِي، فِي دَمِي، فِي نَبْرَتِي رَهَقًا.

أَشَدُّ عَلَيْكَ... يَا حَلَمًا أَشَدُّ حَقِيقَةً مِنِّي
وَمَنْ جَفَنِي الَّذِي سَهَرَتْ بِهِ الرُّؤْيَا، وَمَنْ فَنَنِي
أَشَدُّ عَلَيْكَ.. وَالْخَمْسُونَ تَهْتَفُ بِي

تناديني من الاعماق
تمزق كل ما بيني وبين الحب من أطواق
وتسكب في لهاتي فخرتك المسروقة يا وطني
وفي عينيك تتركني
وميضاً منيراً، شلال معجزة بلا زمن
بلا وعد أجيء، أجيء، أفجأ دورة الحقب
وأسقي الأرض، أسقي الأرض، خمرة وحدة العرب

خذوا شعري، فلست أنا الذي يبكي على لقب
ولكنني سأكتب بالضباب، وبالتراب، وبالدم
القاني، وباللهب،
ولكنني سأبكي بالأظافر، بالسلاح، بكل جارحة على العرب
على أن يخرج العربي قبل جميع من خرجوا من الكفن

أشد عليك في تشرين تمحي دونك الأبعاد
وتخترق الصحارى والحدود، يلتقي أهلي بلا ميعاد
وتسقط كل أفنعتي
وأكتب بالدم العربي في الجولان أغنيتي
وأعبر، أعبر الماء الذي حزوا به رثي
وقالوا: أنت أشطار

وقالوا: مصرُّ لا عرب، ولا قُربى، ولا دارٌ
ومصرُّ ككنوس، كظفار، كالقرآن من جسدي
أختار؟

أضوء الشمس، نبض العرق، لون العين، يُختار؟
تحدني يا صلاتي الليل، والتابوت، والغرقا،
وشدني على الصحراء سيفاً يحق العنات، مُخترباً

• • •

كلام طالما قلناه.. سوف نقوله أبدا
سنخفره على حجم اللسان، وحجم كل خلية تستوطن الجسدا
على حجم الطفولة والشباب، وتمتات الجرح والألم
وحجم قصائد الغزل التي تلقى على الرُثم..
أنا الآن.. أنا ابن القهر.. يابسة عروق يدي
وأخزن في دمي تشرية الماضي ويرغ غدي
أنا الآن.. أنا العربي
سوف أقولها أبدا

سأخفها على حجم اللسان
وحجم كل خلية تعرف الجسدا

• • •

نُقلت على صليب النار من سور إلى سور
وكنْتُ رماداً «هولاكو»

وكنْتُ ذبيح «بلفور»

وكنْتُ...

سَلُّوا دَمِي الْمَسْفُوحَ

سلوه: كيف أنبتني

على قبر الغزاة مرارة خضراء من نجد

بظل شميئها يَهْدِي . على ظمأ

ويستهدي.

وكيف بقيتْ يا وطني

مآذن للبروق.. لشمخة التاريخ، للنور

ومن درسِ يُمُّ الغزو في جسدي إلى درسِ

وأبقى لون انطاكية

في جبهة القدس

وأبقى لونه غار جراء

على الأرز العتيق..

على صَبَا بردى

على سيناء

وتبقى الفارَس العربي مَضْلُوباً ومقتولا

تمدُّ يديكَ يا وطني

بكل كنوزِكَ الأولى

بكل هباتِكَ الأولى

بكل كؤوسك العربية الأولى.

...

أشدُّ عليك.. يا رمزاً كلحمِ الصبحِ عربانا
يجبر طفولتي سأظلُّ أكتبُ فيك عطشانا
وأشربُ هَمَّكَ الأوحْدَ
وأوجدُ حيثُما تُوجدُ
أسافرُ تحتَ قَبْطِكَ التي تعبْتُ من السَّفَرِ
بلا زادٍ، بلا مأوى، بلا سقفٍ، بلا جذرٍ
أسافرُ فيكُ يا سفرِي
أُعلِّقُهُ هذه الدنيا.. وما فيها

بجذعك، جذع نخلتك التي نَبَيْتُ أعاليها
وما برحتُ تشدُّ جُذُورَها عَظْمي وعَظْمَ أبي
وتحيلُني على موجِينٍ مِن عطشٍ ومن غضبٍ
وتحفِزُ في جبين الكوكبِ المتمردِ التَّعَبِ
تباشيري أنا الآتي من النسيان..
من زنازةِ الحَقَبِ
تباشيرِ اسمي العربي.

...

... أطوفُ على الصعاليك الذين مَشَوْا على كفني
وأسقيهم.. لتبدأ رحلةُ الإنسان

من كَفَيْكَ يا وطني...
 وأَكْبَرُ أَنْتَ..
 أغْنَى أَنْتَ
 أَخَصَّبُ بالعناقيدِ
 بأسرارِ الضياءِ، بكلِّ أشواقِ الأغاريدِ
 ألودُ بأُمتنا الصحراءِ،
 وأحْمِلُها نَبِيذاً عَتَقَتْهُ الأرضُ في الأرجاءِ..
 أَقَاتِلُ بِاسْمِكَ العَرَبَانَ يَهْزُمُ كُلُّ أسطورةٍ
 ويحزنُ كُلُّ برقِ الغيبِ
 ليوكِّدَ في حنايا الغيبِ
 محيَاكَ الَّذِي يسقي العطاشَ السيفَ والسورةَ
 أَقَاتِلُ بِاسْمِكَ العَرَبَانَ
 لتبدأَ رحلةَ الإنسانِ
 وأكتبُ أَكتبُ الأشعارَ
 ويبقى نَبْضُكَ الجَبَّارَ
 بنايبي وملحمتي
 وسرُّ النارِ في شفتي
 أشدُّ عليك يا هَمِّي العَظِيمِ، أَعْيُزُّكَ الحَدَقَا
 ويومَ تَعوُّدُ... تحمِلُنِي، نشيداً فيكَ مُخْتَرِقا

يا موكبَ النور

أقيت في مهرجان عربي كبير في حلب

بملقائك بالدمع، دمعِ الثورة النغم
يا أمة... في الزنود السمر تبتسم!
هتفتُ بالشعر.. فانهالت على شفتي
خُطى الضحايا.. ومات الشعر، والكلم
ورحلتُ ألمحها في الدرب، قافلة
عطشى، تصارع فيها الفجر والظلم
تشدُّ بالكيد الجوعان.. خُطوتها
وبالعقيدة، لا شكوة، ولا سأم
مدُّ الطريق إلى الأملاء نظرتُه،
إلى الدماء... فكان البعث، والألم

* * *

هتفتُ بالشعر... أستقيبه قافية
حمراء.. فانفجرت في أضلعي الحمم
ولاح موكبي الماضي.. بجبهته
غضُ القيود، ولشع السوط يرتسم

ومرّني في حديد السجن قهقهة
 من الرفاق.. عليها الموت ينحطم
 ووالع في دم الأحرار، طاغية
 ما زال من شبح الأحرار ينهزم
 وعامل.. أسمى الزندين.. منتفض
 في كوخه ما يشاء البؤس والعدم
 وقبضة، فوق محراب، مُشَقَّة
 حصاؤها الجوع، بعد الكد، والسقم
 وناهب، ورم الأوداج، أفقده
 بقية الرشيد.. أن يستيقظ «الخدم»
 متفت بالشعر، فازور الهوى خرداً
 وناء تحت هزم اللفظة القلم
 وأطرق السوتر الهدأ.. لا ظمأ
 الى النشيد بعينيه، ولا نهم
 وتمت همسة في الصدر محرقة:
 متى — وقد هُيئت الميدان — نلتحم؟

يا موكب النور.. من آلام أمتنا
 ودمعها، ودماعها، وهي تفتح!

أَيُّ الْأَمَانِي عَلَى جَنْبَيْكَ هَادِرَةٌ
وَأَيُّ عِبٍّ عَلَى مَتْنِكَ بِزَدْحَمٍ؟
رَافَقْتُ دَرِيكَ طِفْلاً، وَالْهَوَى لَهَبٌ
وَالدَّرْبُ.. فِي كُلِّ خَطْوٍ شَوْكَةٌ، وَدُمٌّ
رَافَقْتُ دَرِيكَ.. لَمْ نُخْطِئْ رِسَالَتَنَا
يَوْمًا.. وَلَمْ نَجْتَرِخْ فِي الْعَهْدِ مَا يَصِمْ
مَا زِلْتُ أَذْكُرُهَا فِي الشَّامِ قَانِلَةً
مِنَ الْجِيَاعِ.. وَمَا زَالَ الرِّفَاقُ هُمٌّ
نَامُوا عَلَى الْأَرْضِ أَرْضَ الشَّعْبِ فَامْتَرَجَتْ
بِلَحْمِهِمْ ثَوْرَةً فِي الشَّعْبِ تَحْتِدِمُ
وَعَضَّنَا الْجَوْعُ.. فَاقْتَتْنَا بِبِسْمَتِنَا
وَهَذَّنَا الْبَرْدُ.. لَمْ تَرَعْشْ بِنَا قَدَمُ
هَذِي الصَّخُورِ.. سَلَكْنَاهَا عَلَى ثِقَةٍ
أَنَا عَلَيْهَا — وَلَمْ نَنْدَمْ — مَسْنَحِطِمُ
لِلْمِغُولِ الْقَتْلِيدِ.. عَهْدٌ فِي سَوَاعِدِنَا
أَنْ لَا يُرَدَّ.. وَفِي سَاحَاتِنَا «صَنَمٌ»

...

يَا مَوْكَبَ النُّورِ.. غَاظَ اللَّيْلَ مَطْلِعُنَا
وَأَتْلَقْتُ رَأْسَهَا مِنْ قَبْرِهَا الرُّمَمِ

الناعقون وراء الركب.. هل لَهُم
 أن يَفْتَحُوا الدربَ للأحياء.. هل لَهُم
 نحن الذين كَتَرْنَا «القيدَ» عن فَمِهِم
 حتى تحرك من بعد الهمود.. فَمُ
 الناسجون بدمعِ الشعبِ بُردَهُم
 والناحتون بِغُزَي الكوخِ قُضْرَهُم
 والناصبون حدودَ الله «مَضِيْدَةً»
 ويهيمسُ الفَقْرُ في يأسٍ: أَمَا تَجْمُؤا؟
 ولو تَنَبَّهَ مسلُوبُ لسايقِهِ
 من الأيْمانى، ومن أيتامنا، رُجْمُوا!

• • •

يا موكبَ النور.. لن نلوي أَعْيُنَنَا
 فاهبِز.. مُنى الجبلِ في جنبك تضطرمُ
 الكأسُ.. عاملنا الظلامي سيرشَفُها
 والظلُّ.. فلاحنا الضاحي سيقْتَسِمُ
 ونحن من شاطروا الأنعامَ مَرْقَدَها
 في الطين.. نحن صباغُ الثورة الأَمَمُ
 انظُر.. فما انتثرث في الريح زَمْجَرَةٌ
 ولا محا الشمس لما أشرقت غَمَمُ

السالمون جلود الشعب.. أفقدتهم
بقية الرشد.. أن يستيقظ «النعم»
وأن يشق «عبيد الأرض» طاعتهم.
وأن تحول عن الأعناق رجلاً لهم
ويرفعون قلاع البغي شامخة
كل القلاع — وإن عزت — ستهدم

...

ويهمس الساعد المعروف في وطني:
حتى م تلتهم رجل الذابح الغنم؟
حتى م تبقى «قباب الطين» مقبرة
وأسرني.. أسرتي في جوفها ردم؟
الى متى يتغذى الداء مرتعشاً
طفلي ومن قبضتي الرزق والنعم؟
والأرض.. أرضي التي نضرت لها بدمي
أليس لي في زوايا جفنها حلم؟
نحن الحفاه.. لنا في الشمس حصتنا
في النور، في التراب في العرش الذي اقتسموا
لنا رغائب.. لو شئت مقابرها
تعلل السفح بالإبداع.. والقمم

نحنُ الحفأة... أضأنا الأرض مَسْرَجَةً
على الكفاف.. وصُفنا الدهر.. لو عَلِموا

...

يا حاملي النير... من أفلاذ أمتنا
في العيش، والموت حُلُوا.. إنا لكُم!
الشائرون... بكف مهجة تُذِرث
ضحية.. وبكف زمجرث.. قَسَمُ
الصَّامدون... وغير الحب ما حَمَلُوا
والناقمون... وغير الظلم... ما نَقَمُوا
وتملأ البغي والأصنام صِحتنا
رُغْباً.. فنُقَذَفْ بهتاناً، ونُثِّهْمُ
ويَهْدِرُ الزورقُ النشوانُ منطلقاً
ويَلْقُقُ الموجُ جنبه، ويلتعلِمُ

...

يا حاملي النير... آلام رسالتنا
وشهقة، وجراح ليس تُكْتَتَمُ!
ما راعنا «قزَم» في الدرب منتصب
قريبنا من تَمَطَّى — باسمه — «القَزَم»
لنا، و«الغاصب» السفاح مَلْحَنَةٌ
خَضَمُ الفريسة فيها البارُ والرَّخْمُ

لِلْمَغُولِ الصُّلْدِ عَهْدٌ فِي سَوَاعِدِنَا
أَنْ لَا يَقْرَأَ.. وَفِي هَذَا الثَّرَى «صَنْمٌ»

٨ تموز ١٩٥٤

أُنشودة السّفر

صدى حديثها الدائم عن رحلة طويلة

أَحْلُمُ بِالسَّفَرِ
خَلْفَ الثُّيُومِ، وَالتَّجُومِ، وَالْقَمَرِ
خَلْفَ رَذَاذِ الْمَوْجِ وَالْمَجْدَافِ
وَرَاءَ هَذَا الصَّخْرِ وَالْهَجِيرِ وَالْجَفَافِ
إِلَى بِلَادٍ يَنْزِلُ النَّاسُ بِهَا الْمَطَرِ
مُعَاطِفًا لِمَنْ يُحِبُّونَ..
يُغْنُونِ إِلَى السَّخَرِ
وَيُشْرَبُونَ اللَّيْلَ وَالنَّبِيذَ، وَالْوَتَرَ
وَيَرْقِصُونَ أَيْنَمَا شَاؤُوا.
يُغْنُونِ إِلَى السَّخَرِ.
يَا شَاعِرِي.. أَحْلُمُ بِالسَّفَرِ

أَحْلُمُ بِالْحَيَاةِ كَالرَّبِيعِ. كَالْهَوَى
تَنْدَاحُ، لَا أَسْوَارَ لِلْقَلْبِ، وَلَا كُؤَى
يَطْلُ مِنْهَا عَطَشُ الصَّبَاغِ

يمشي بالشوك والجراح
يا شاعري.. أحب أن أطيّر
بهي ظمأً الى غيوم تنسج المصير
تقلّني في رحلة غامضة الشرى
أذوق فيها لذة الهوة والذرى
أغتصر الدنى
أكون ما أنا
أحلّم بالسفر
يا شاعري، أحلّم بالسفر

غصْفورة الرمال، والنخيل
تُنْذِرُنِي... تحلّم بالرحيل
ويعطِرُ الونز
وتتمشى رعدة كالليل، كالفضج
تلفني، كالصمت، كالقدر
لا صوت لا أثر
لا همسة تورق في دربي ولا خير

طيري وراء الموج والضباب
أعرفها عاصمة الشباب

دقت بقنصين من جنون
نوافذي ومرت السنون
وكان ردي يعرف الصباح
في مقلتيك قصة الجناح
مرء على الوجود وارتمى
بشده لطيفك الغلما
يقبل الحرف الذي حمل
صلاته إليك في خجل
يا حلم الريشة والوتر
إنّا معاً ظلال للقمز
إنّا معاً روحان في سفر

غرائر خولة

تعيشُ في شَفَتي وَحياً، وفي خَلدي
ماذا لو انشَكَبَ الشَّلَالُ فوقَ يدي؟
ألمْها في خيالي.. كُلما شَرَدْتُ
وَأُثْرِغُ الكَأْسَ من نَوَارِها الفَرْدِ
قصيدةُ الله.. لم يُبَدِّعْ أَرْقُ سناً
وَوَقْدَةُ الحُبِّ.. لم تُخَطِّرْ على كَيْدِ
أَحِبِّها، أتملى لَحْنَهَا عَبَقاً
ينهلُ مِنْ دمي، نِرنَاجٌ في جِسمي
وَأَعْبُرُ الزَّمَنَ التَّضَاضِي بِخَافِيَةٍ
لَأَلْتَقِيَ مَعَهَا في شُرُوفِ الأبدِ
غريزةٌ كَدُمُوعِ الفَجْرِ، رائحةُ
كَدْفَةِ الوُحْيِ.. فَكُنْهُ يَدَا رَصيدِ
نَشْرُوتُها في خيالي أَلْفَ سَاقِيَةٍ
وَجَدُولَ بَحْنينِ النُّورِ مُتَقَدِ
أرسلتها خُصْلاً ظَلَمَ أَى مُرْفَرَفَةٍ
وضعتُ في غَابةِ مَجنونَةِ الغَيْدِ
ورُخْتُ أنسُجَ ضوءِ الشمسِ أغنيةً

وأملأ الأرض بالنعَمى وبالرَّغْدِ
إذا تَمَوَّجَتْ فِي المِزَاقِ ذاتُ ضَحَى
بما غابَةَ النورِ.. بما سَلَطَهُ الأَبَدِي
ضَمِّي يَدَئِكَ عَلَى قِيْشارَةٍ وَلَدَتْ
مَعَ الرَبِيعِ.. وَلَحْنٍ لِلرَبِيعِ صَدِي
ضَمِّي يَدَئِكَ.. أَسْلَسِلْ فِي عَبيْرَها
زَوَاجِعَ اللُّهُ مِنْ شِغْري، وَمِنْ سَهْدي
لِي مَرْفَأٍ وَرَاءَ الغَيْبِ.. عَندَها
أَلْقَيْتُ يَوْمِي، وَأَنْسِي، وَالْهَوَى، وَغَدِي
بُخَيْرَتَانِ..

وَزَادِي مِنْ صَفائِها
لَحْخٍ، وَأَغْنِيَّةَ عَضْماءِ
لَمْ أَزِدِ
قَصِيدَةَ أَنْتِ..
أُغْفِي عَندَ شَاطِئِها
عَلَى شُعاعِ...
عَلَى حَلَمِ..
أَضْمِ يَدِي..

القريبة ومنى

إلى صديقة الشاعر «منى» بعدة رسالة وغياب
من قريبتها النائمة في حضن الجبل

حلّو كالْحُبِّ عِتَابٌ مُنَى!
أهلاً بخيالك... طفُلُنَا
يا للذُّكْرِى.. تَطْلُوِي الزَّمَنَا
وتُجَدُّ شَطْرًا... من عُمرِي!
أَيَّامَ عَصَفْنَا... فِي الدُّنْيَا
لَهَبًا، وَرَغَائِبَ مِنْ جُمُرِ
أَيَّامِ تَصَبُّبِنَا الْجَبَلُ
وَالخَدُّ الْأَمْسَرُ، وَالْفَزْلُ
وَلِيَالِي الْقَرْيَةِ، وَالزَّجْلُ
إِذْ نَبْدُوْهَا عِنْدَ الْعَصْرِ
وَبَضِيعُ الْمَوْكَبِ فِي عُزْرِ
وَلِشُكْرِ مَصْحُو مِنْ شُكْرِ
بِالرُّوح... صَبَابَاتُ نَشْوَى
خَفَقَتْ بِالْحَبِّ.. كَمَا نَهْوَى
كَانَتْ، هَلْ مَا زَالَتْ مَلْوَى

لكفاح، مُلتَهَب، مُر!
 حُصْنَاهُ، فِي الشُّوكِ الدَّامِي
 ثَوْرَاتٍ جَرَّاحَاتٍ حُفْرِ
 فِي كُلِّ مَعْلَلٍ أَوْ دَرْبٍ
 أَصْدَاءُ.. مِنْ مَرْجٍ عَذْبٍ
 وَخِيَالُ.. يَوْمِيءُ لِلشُّخْبِ
 أَنِّي.. لَمْ أَقْوِ عَلَى الْهَجْرِ
 عَوْدُوا.. فَالْقَرْيَةُ بِعَدَّكُمْ
 قَدْ أَزْهَقَهَا.. صَنَّتْ الْقَبْرِ
 مَضَّتِ الذِّكْرَى.. عَامًا، عَامًا
 وَبَقِينَا فِيهَا.. أَنْغَامًا
 قِصَصًا لِلْحُبِّ.. وَأَحْلَامًا
 بِالرَّيْفِ وَفَتْتِهِ، تُغْرِي!
 قِصَصًا.. لَا تَبْلَى جَدُّهَا
 أَقْبَلِي.. وَهِيَ صَبَا الدَّهْرِ؟
 أَصْحَبِجْ أَنْ مُنَى فِتْنُ؟
 قَدْ فَتَّحَ نَضْرَتُهَا الزَّمَنُ
 وَافْتَرَّ عَنِ الْوَزْدِ الْغُصْنُ
 وَمَشَى لِلرَّوْضَةِ بِالسَّرِّ
 فَإِذَا الْحَسَنَاءُ.. مَلِيكَتُهَا

وأميرة أحلام الزفر
أصحيح حسائي عتب؟
وجفاء الشجر هو القنب
في ضيعتها.. ولذ الحب

وترغزغ.. في القمم الشجر
وحيال النبع. عزفت الوحي
— وفوق ملاعبه الحضر

قَسَمًا.. يقدائرك السود
عُنُقُوذ.. لاذ بعنقود
وبرفتها.. فوق الجيد

خُصلاً تتعطف في كبر
لم تبرخ أطياف الماضي
أغرودة شوق.. في صدري

لم أئن الضيعة.. والسفحا
نتخطف.. لَمَحًا.. لَمَحًا
وخطانا.. تستيق الضبحا

ونظير.. بأجنحة الفجر
لنوافيكُم... بقصائدنا
ولشكير.. آلهة الشعر

ويمور البيت الحلو بنا

وَتُجَاذِبُنَا الضُّحَكَاتِ .. مُنَى
 وَتُعْرِضُ كَأَمْسٍ .. فِي يَدِنَا
 وَتَضِيعُ .. بِمَشْوَتِهَا الْبِكْرِ
 فَإِذَا الدُّنْيَا .. نَعَمَ عَذْبُ
 مِنْ ثَغْرِ طَارٍ .. إِلَى ثَغْرِ
 لَمْ أَتَسَّ اللَّيْلَ .. وَقَدْ جُنَّا
 بِمَلَاحِمٍ .. رَدَّدَهَا .. عُنَا
 وَصَدَى «الشَّبَابَةِ» هَلْ رَنَا
 أَخْلَى مِنْ عَاصِفَةِ السَّحَرِي؟
 أَوْ هُذَيْدَ يَوْمًا سَمِعَ مُنَى
 بِأَرْقٍ، وَأَنْدَى مِنْ شَغَرِي
 أَسَأَلْتُ الْوَادِي الْمَسْحُورَا
 وَالْعِطْرَ عَلَيْهِ مَنْشُورَا
 وَالذُّرَّةَ لَمَلَمَتِ النُّورَا
 وَالْأُفُقُ كَشَفَعَةِ الْخَمَرِ
 أَفْتِيضُ، ثَمَّةً، نَاهِضَةً
 إِلَّا لِتَرَدُّدٍ فِي صَدْرِي؟
 أَشْتَاقُ الْقَرِيبَةَ، وَالرَّيْفَا
 وَأَجِبْ سَنَابِلَةَ الْهَيْفَا
 وَالزَّهَرَ يُفَوِّفُ تَفْوِيفَا

غَطَفَاتِ الْجَذُولِ، وَالنَّهْرِ
 وَالْغَابَةِ تَشْخُصُ مِنْ بُعْدِ
 كَاللُّجَّةِ فِي قَلْبِ الْبَحْرِ
 أَفِيذُكُنَا رَاعِي التَّلْ؟
 وَخِرَافُ تَنْعَمُ بِالْظِلِّ
 أَوْ تَوْقَى الْهَضْبُ عَلَى مَهَلٍ
 فَتَلَوُحُ لَالِيءٍ فِي نَحْرِ
 وَتُغْنِيهَا فَتْرَى فِينَا
 رُغْيَانًا أَغْرَقَ فِي الْقَفْرِ
 وَيَمُرُّ كَعَلَيْفٍ لَمَّاحٍ
 فِي الرِّبْوَةِ مَغُولُ فَلَاحٍ
 يَهْوِي بِحَبِيبٍ نَضَّاحٍ
 فِي الْأَرْضِ الْبُورِ وَفِي الصَّخْرِ
 وَبُقْطُرُ مُهَجَّتِهِ عَرَقًا
 لِتُضْيِئَ ثَرِيًّا فِي قَضَرٍ
 أَفِيذُكُنَا.. يَوْمَ الْعِيدِ؟
 وَ «الدَّيْكَةُ» بِنْتُ أَنَاثِيدِي
 وَالْبِيدَرُ.. رُمِعَ بِالْغِيدِ
 وَأَذَلُ بِهِنَّ عَلَى الزُّهْرِ
 هَلْ كُنَّا نَرْقُصُ بِوَمِيدِ

أم تَشْبَحُ في ضوءِ البدرِ؟
 أحلامٌ زاهيةٌ أبدا
 عاشتَ لَهْباً فينا، وتَدَى
 وتركناها لَحْناً غَرِدا
 وحياةٌ ضاقتَ بالأَسْرِ
 فمَضَتْ لتفجّرَ ثُورَها
 في أحضانِ الجَبَلِ الوَغْرِ
 سنعودُ إلى التُّبَعِ الصافي
 ونسيرُ مَعَ الراعي الحافي
 بأريجِ العِطْرِ الهَفْهَفِ
 لن تُحْطِمَ أغْلالُ الشُّرِّ
 سنعودُ لِنَبْداً ثُورَنا
 في كوخِ الحُطَّابِ المُزْرِ

أَمْشِي.. وَتَنَائِينِ

انشدت في مهرجان الشعر الخامس الذي
أقامه اتحاد الأدباء والكتاب العرب بصنعاء..
في ١ - ١٢ - ١٩٨١

قال شاعرنا العربي القديم:

«لَا بُدَّ مِنْ صِنْعَاءٍ.. وَإِنْ طَالَ الشَّقَرُ»^(١)
مَاذَا مِنَ الشَّهَقَةِ الْحَمْرَاءِ أَخْتَرُنُ؟
أَمْشِي وَتَنَائِينَ يَا صِنْعَاءُ، يَا عَدَنُ
تَقْصِفَ الْعَمُرُ فِي جَفْنِي وَفِي شَفْتِي
وَمَا تَزَالُ وَرَاءَ الدَّمْعَةِ الْيَمِينُ
أَمْشِي وَتَنَائِينَ.. هَلْ كَانَ الْهَوَى عَبَثًا؟
وَهَلْ تَلَازَمَ فِيي التَّيْتُ وَالْكَفَرُ؟
أَمْشِي.. وَتَنَائِينَ.. يَا لِلْحُلُمِ أَعْصَرُهُ
شِعْرًا، وَيَعْصِرْنِي يَا سَاءَ، وَأَحْتَضِرُنِي!
تَبَارَكَ الْحُزْنُ..

يُغْوِي جَمْرَنِي أَبَدًا

(١) شطر البيت هذا للإمام الشافعي.

إِذَا انْتَهَى بِالرُّمَادِ الْيَأْسُ وَالْحَزَنُ
مَاذَا مِنَ الشَّهَقَاتِ الْحُمُرِ قَدْ تَرَكْتَ
لِي الدُّرُوبَ، وَمَنْ حَلُّوا وَمَنْ طَعَنُوا؟
مَاذَا؟

أَلِفْتُ الشَّرَابَ الْمُرَّ فِي حَذَقِي
وَمَا كَفَرْتُ..

تَرَدَّى الْكَفَرُ مِنْ جَبْهُوا

تَسَاقَطُوا فِي الْبَرِيْقِ الْمَسْخِ وَأَتَشَحُّوا
بِالْكِبْرِيَاءِ، وَفِي تَمْزِيْقِكَ ارْتَهَنُوا
لِنْتَفُضِّ تَرَابِ الْقَبْرِ عَنْ شَفَقِي
لِلْهَامِدِينَ يَغْطِي الْأَرْضَ يَا يَمُنُّ
قِيَامَةُ الْبَاصِقِينَ الدَّمُ قَدْ أَزْفَتْ
هَيَّا انْفُخِي..

بِيدِنَا الصُّورَ يَا عَدَنَ

هَيَّا انْفُخِي..

مَا أَتَيْتُ الْأَرْضَ مِنْ عَدَمٍ
هَنَا.. بِعَيْنِي يَوْمًا أَبْصَرَ الزُّمُنُ
الْذَمْرُ نَحْنُ صَنَعْنَا أَبْجَدِيَّتَهُ
فِي كُلِّ وَارِفَةٍ مِنْهُ لَنَا فَنُّ
لَا أَكْذِبُ الْفَلَكَ الدَّوَّارَ، كَاسِفَةٌ

شمسي، ويصطريعان: الضوء والدرن
يا حافري قبرنا.. والليل ملئكم
بين المحيطين نعيش ليس يندفن
أمشي.. وتأنين
ما جددت بالإسراء

لا بُدَّ، لا بُدَّ يا صنعاء من صنعاء
منعاء.. يا كَبْوَةَ الأيام
يا حلوة القمم الخرساء والأنسام
يا دمعاً الضوء في التاريخ والأرحام
«مليحة.. عاشقها السل والجرب»^(١)
قال ابنها..

صَفَقَتْ لِلِكَلَمَةِ الْقَرْبُ
لا تَغْضِبِي.. لم يكن شَطُّ بلا أنواء
لم نخي قلب بلا بلوى ولا غناء
وما عَرَفْتُ بلاداً قطُّ يا صنعاء
تنزلت جنة خضراء
من السماء.. تدلت جنة خضراء
ولم تَمُرْ بها آة ولا بَأْسَاء
«مليحة.. عاشقها السل والجرب»

(١) الشطر من قصيدة للشاعر اليمني عبدالله البردوني.

أَجِبْهَا.. تِلْكَ أَرْضِي..

يُنْتَهِي الْعَطَبُ

يَوْمًا.. وَمِنْشَقُّ عَنْ ثَارَاتِهِ الْكَفَنُ
مِنْشَقُّ عَنْ لَحْدِهِ السَّوْوُودُ بِمَا عَدَنُ
تَجْرِي الرِّيحُ بِمَا تَخْتَارُهُ السَّفَنُ

...

لَمْ أَعْرِفِ الْأَحْجِيَاءَ الزُّرْقَ فِي قَلَمِي
اسْمُ الشَّقَاءِ الَّذِي أَقْتَاتُهُ الْوَطَنُ
أُرِيدُهَا بِوَضُوحِ الْخُبْرِ أَغْنِيَنِي
وَالْجُوعِ وَالْخَنْجَرِ الْمَفْرُوزِ فِي رِثْمِي
أُرِيدُهَا..

وَتَذُقُ الرِّيحَ نَافِذَتِي

تَلْفُنِي بِسَيَاطِ الشَّخْرِ

مَنْ كُلُّ فَجٍّ.. تَلْفُ الْعُمُرِ

مَنْ أَنْتِ؟ طِفْلٌ بِلَا مَأْوَى

صَوْتُ.. بِلَا جَدْوَى

وَعَدٌ.. وَلَا وَاْعَدُ

عَزْمٌ.. وَلَا سَاعِدُ

مَنْ أَنْتِ؟ تَضْرِبُ فِي بَيْدَاءٍ مِنْ أَزَلٍ

قَالُوا لَنَا.. مَاتَ فِيهَا الضَّرْعُ وَاللَّبَنُ

قالوا.. وأقسم حاديهـم ومطريـهم
هـذي المـلابـيـن.. لا رـوح ولا بـدَنُ
ماتت على القـلـمِ الصـغـلوك..
وانطَلقت

بشائر الجفد.. غطى الساحة العفنُ
أنت اليتيم على أطراف مائدة
شتم العروبة فيها الفن واللـسنُ
تجثت في عثـمات الزور أغنية
تقول: نحن هنا

تصير: نحن هنا
تسقى وتطعم أغـلـالاً..

ونحن هنا
تجثت في عثـمات الزور كل يد
تمتد.. يخضرو في أحلامها غصنُ
من أنت؟

يا ريم التاريخ في وتري
ليسقط غداً عن جثتي الكفنُ
لأهلـعـنك يا شط الهوى رفقاً
تعرفت ذمه الأغوار والقننُ
لأحملن بقايا اللحم في قدمي

وَأَلْتَقِيَ بِأَبِكَ الْمَرْصُودَ بِأَيْمَنُ

عَفُو الْعَمُودِ..

وَعَفُو الظِّلِّ...

قَافِيَّةُ

تَذُقُ صَدْرِي. يَذَاها الْقَهْرُ وَالْمِحْرُ

لَمْ أَعْرِفِ الْأَحْجِيَّاتِ السُّودَ يَا بَلَدِي

وَلَا تَأَلَّهَ فِي أَجْفَانِي الْوَسْرُ

مَا كُنْتُ رَمْزاً

دَعُونِي عَارِياً وَجَمِي

دَمُ الْقَتِيلِ بِأَغْلَى الرُّمُزِ يُمْتَنَّهُنْ

الْخَنْجَرَانِ بِصَدْرِي^(١).

كَانَ نَزْفُهُمَا

عُمُرِي.. أَحِبُّ بِهِ طِفْلاً وَأَضْطَعُنْ

الْخَنْجَرَانِ.. وَيَافَا مِثْلُ حَارَتِنَا

خَلْفَ السَّلَاطِيلِ.. لَا أَهْلٌ وَلَا سَكُنْ

بَعِيدَةٌ.. عَتَبَاتُ الْحُلُمِ.. يَا وَطَنِي

صَحْرَاءُ يَلْهَثُ فِيهَا الْفِكْرُ وَالظُّلْمُنْ

(١) الإشارة إلى لواء الأسكندرون وفلسطين.

بعيدة.. أَتَقْرَأُهَا بِمَا تَرَكْتُ
لِي السُّنُونُ.. وَمَا أَهَيَّ لِي الزَّمَنُ
أَرْتَدُّ لِطِفْلًا..

أَذُقُ الصَّخْرَ مُتَغَيِّرًا

صَحْوَ الْبِنَابِيعِ..

يَكِي قَبْضَتِي الْوَهْنُ

إِنِّي أُصِرُّ عَلَى رُؤْيَا تُمَزِّقُنِي

كُلُّ الْقِرَائِينَ فِي نِيرَانِهَا امْتَحِنُوا

عَفْوَ الْعِنَاءِ.. وَعَفْوَ الشُّعْرِ..

أَعَشَّقُهُ

هَذَا الْعِنَادَ..

مَعًا.. فِي النَّزْعِ نَفْتَرُنُ

الخالرون

في يوم الشهداء

ناداهمُ البرقُ.. فاجتازوه وانهمروا
عند الشهيد.. تلاقى الله والبشرُ
ناداهمُ الموتُ.. فاختاروه أغنيةً
خضراء.. ما منها عُودٌ ولا وترُ
تَقْدَسُ السَطَرُ المجدولُ صاعقةً
ورزناً.. يا شموخ الأرض... يا مطرُ
لا تُفْلِتِي قُبْضَةَ التاريخ عن غدنا
أطفالك السُخْرُ يا صُخْرَاءُ قد كَبُرُوا
رَبَشَ على صَهَوَاتِ الريح.. فَجَرَهَا
بالمُحْجَزَات.. وربَشَ راح ينتظِرُ

...

تشرين.. يا مؤعِدَ الفُرسَانِ.. يا قَدْرًا
محشو على قَدَمِي ميلادِهِ القَدْرُ
أطلقنها من جحيم اليأس قافلةً
من العَطَاش.. بقتديل الصُحَى كَفَرُوا

بكرمة الضوء.. كانت كُلُّ فارقةٍ
 على حزيران، يا تشرين، تنتحرُ
 أطلقتها.. فسمواتي على بردى
 سكرى.. تعانق فيها الحبُّ والخطَرُ
 تعانق النُشْرُ والتاريخُ مَلْخَمَةٌ
 وكبُرُ العُشْبِ والنبُوءُ والخَجَرُ
 تعانق الفارِسُ المَقْدود من أَلَمِ
 والثُلُ.. فالعاشقانِ الثُلُ والشرُّ
 وأينعتُ بالدمِ الجولانُ.. وانضفرتُ
 سيناء.. يا زوعةَ الإكليلِ ينضفرُ
 سرُّ الصَّحارى.. وسلها كُلُّما يَمِستُ
 من أينَ يَنْبُعُ فيها الظلُّ والشجرُ
 من أين؟ قالوا: كرومُ الصيفِ قد عَفَمَتْ
 من أين.. كلُّ نبيذِ المجدِ يُغْتَصَرُ؟

...

الخالدون.. على أهدابنا نَبَّثُوا
 عرائشَ الزُهْمِ.. في أَخْدافنا سَهَرُوا
 نَنامُ أطفالنا... تَضْحَرُ على قِصَصِ
 وَيَنْسُجُونَ الرُّؤْيَى منها إذا كَبَرُوا

وَيَسْأَلُونَ، فَتُغْطِيهِمْ، وَتَسْحَرُهُمْ
 أَبَاؤُهُمْ فَوْقَ مَا تُغْطِي وَمَا سُجِّرُوا
 صَارَ الصَّغِيرُ يَمُدُّ الْيَوْمَ قَامَتَهُ
 أَبَوْهُ بِالْعَيْمَةِ الْحَمراءِ يَغْتَمِرُ
 يُلْقِنُ الْمُعْتَدِي دَرْسًا، يُعَلِّمُهُ
 كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى الْإِنْسَانِ يُخْتَصِرُ
 وَكَيْفَ تَهْوِي «أَسَاطِيرُ» هِيَائِهَا
 فِي الْحَيِّ.. بَيْنَ يَدَيِ أَطْفَالِنَا أَكْرُ
 وَكَيْفَ يَمْزِجُ حَقًّا.. ظَنًّا سَارِقَهُ
 أَنَّ الشَّرَائِعَ بِالسُّكَّانِ تَنْدَثِرُ

تَشْرِينُ أَمْطَارَكَ الْخُضْرُ الَّتِي كَتَبْتَ
 أَعْمَارَنَا.. لَمْ يَكُنْ بِالْأَمْسِ لِي عُثْرُ
 دَمِ الشَّهِيدِ أَعَادَ اللُّوْنَ، لَوْنُ دَمِي
 وَازْتَدُّ يَلْءُ جُفُونِي الضَّوْءُ وَالْبَصْرُ
 فِي سَاعَتَيْنِ.. خُلِقْنَا نَحْنُ بَشَرًا
 قَبْلَ الشَّهَادَةِ.. لَا وَجْهَ وَلَا صَوْرَ
 فِي سَاعَتَيْنِ.. تَعَالَتْ كِبَرِيَاؤُهُمَا
 كَيْفَ انْتَهَى فِي عَصْرِ الْغُرْبَةِ الشَّفَرُ

دُمُ الشباب.. أفيقي يا بيا دِرنا
 على العطاء.. وجنُّ الزُّرْع والشمُر
 دُمُ الرُّجولة يا تشرين.. قيل لنا:
 لم يَبْقَ من خالدٍ سيفٌ ولا أُنْرُ
 لم يَبْقَ من ضربةِ عذراءِ قاصصةٍ
 في ذي الفقارِ.. ولا في نَبْرةِ عُمرُ
 افتح جناحَيْكَ يا تشرين.. مُدْهُما
 على الرياحِ.. وخَلَّ الأرضِ تستعُرُ
 ودُمِرِ «الكذبةُ الصفراء» دُمِرْنَا
 هذا القناعُ.. فما يُبْقِي ولا يَذُرُ
 قل للهزيمة.. قُلْ لِلَّيْلِ: موْعِدُنَا
 على التلالِ.. وتَذْري من سينحدرُ
 قل للحضارات.. لنْ تُنْجِي هزْوَبعَةٍ
 سوداء، تطفئ فتستغلي فتتكيسُ
 قل للغزاة: كأسلافٍ لكم.. خَبِرُ
 أنتم على أرضنا.. إِنْ نَتَّقِضُ.. خَبِرُ
 الحَنْدَقانِ.. وصلنا أُنْسٍ غارهما
 وجُدُدت في الهتاف الأسمر السورُ
 الحَنْدَقانِ.. مَشَتْ تَطْلُوانُ في برْدَى
 واستثْفِرَتْ فوق سرجٍ واحدٍ مُضِرُ

لم نَنْطَفِئْ.. وكأْسلافٍ لكم.. خبرُ
أنتم على رملنا.. إن ننتفِضُ.. خبرُ

يا شامُ.. مُدِّي بساطَ الحبِّ.. واحدةً
كأشَّ العروبة.. وليَخْضُوضِرِ الشَّمْرُ
اسقي العطاشَ.. حديثُ المجدِّ رائعةً
من الملاحمِ يَفْتَنِي دُونَهَا الشَّهْرُ
شبابنا في متونِ الريحِ أَشْرَعَةٌ
وفي التَّلَالِ.. دَمٌ بالنصرِ يَأْتِيزُ
مُدِّي بساطَ الهوى. ما زالَ في دَمِنَا
من ياسمينك كنزٌ للهوى عطرُ
وقفت في عتابِ الخُلْدِ شامخةً
بالأنبياء تَغْطِي المَرْجُ والزَّهْرُ
بِقَاتِلِ النسرِ.. ينسى غيرَ ملقبِهِ
ينسى اسمه.. في السماواتِ اشْمُهُ الظَّفَرُ
يوشوش المهرة السمرَاء مبتسماً
في نغلك الموتُ.. أدري كيفَ أَنتَصِرُ
أمانةُ البعثِ والتاريخِ في عنقِي
فاشرقي في دمي يا شمسُ، يا قمرُ

تشرين.. لم ينته الشَّوْطَ الذي بدأت
خيولك البيض في الميدان من تَقْرُوا
في خندق النار ما زلنا.. وتعرفنا
خنادق النار عن قُرب.. وتَذَكِّرُ
الراكبون غُرُورَ الأَمْسِ.. مَضْرَعُهُمْ
تحت الغرور.. فشَقَّ الدرب يا سحرُ
تعلوان في بردى.. بغدادُ في بردى
صنْعاء في بردى.. والبيت والحجرُ
قصيدةُ نَحْنُ مِلَّةَ الدهرِ صامتةٌ
ويَشْكُرُ الدهرُ كِبَرًا حين تَنْفَجِرُ
قصيدةُ نَحْنُ.. يُعْلِيهَا وَيُبْدِعُهَا
دَمُ الشَّهِيدِ.. وجِلُّ العُودِ والوَتَرُ
لأننا.. وجذورُ الشَّمْسِ في يَدِنَا
نُقَاتِلُ الحَلَكَ الباغِي... سَتَشْصِرُ

كانون الأول ١٩٧٣

يا ياسمين دمشق

بعد غارة صهيونية على دمشق

تَسْقِي مِنَ الْأَزَلِ السَّحِيقِ وَتَشْكُرُ
مَاذَا أَقُولُ؟ وَأَيَّ خَيْرِكَ أَعْصِرُ؟
يا ياسمينَ دِمَشْقَ.. مُدُّ بَارِقِي
مَطَرًا.. بِمَلَحْمَةِ الرِّسَالَةِ يَهْدِي
يا ياسمينَ دِمَشْقَ.. عَطْرِكَ أَبْيَضُ
وَتَمَطَّرَسَتْ أَفْقَى فِعْطَرِكَ أَحْمَرُ
وَعَضِبَتْ. فَالْوَطَنُ الْكَبِيرُ عَبَاءَةٌ
حَطَلَتْ عَلَى بَرْدَى. وَنَشَرَ أَسْمَرُ
مَشْمَتَهَا أُنْطُورَةً.. وَذَرَوَتْهَا
كُلُّ الْغُرَاةِ عَلَى الْعَبِيرِ تَكْشُرُوا
كُلُّ الْغُرَاةِ.. وَظِلُّ قِنْدِيلِ الْهَوَى
أَبْدَأَ عَلَى الْعِطْرِ الْمَدْلَلِ بِشَهَرُ
كُلُّ الْغُرَاةِ.. وَلَمْ تَجِفْ مَنَارَةٌ
يا ياسمينَ.. وَلَا تَزْحَرْحِ مِنْبِرُ
تَمْتَدُّ يَا لَوْنِ الْعَبِيرِ جَهْنَمًا
فَوْقَ الرَّمَالِ.. جَهْنَمًا تَسْعَرُ

وَتَقَهْفَةُ الصَّحْرَاءِ تَحْتَ نَعَالِهَا
 سَوْدَاءُ مِنْ قَصَبِ الْجَرِيمَةِ تُقْبِرُ
 يَا بِاسْمَيْنِ دِمَشَقَ.. طَوَّقَ وَاحِدٌ
 وَطَنَ الْعُرُوبَةِ بِالْأَرِيحِ مُسَوِّرُ
 بِالنَّارِ، بِالْغَضَبِ الْمُقَدَّسِ، بِالرُّؤْيِ
 بِالْأَنْبِيَاءِ مِنَ الشُّرَابِ تَفْجَرُوا
 مِنْ كُلِّ زَنْبَقَةٍ أَطْلُ مُقَاتِلُ
 مِنْ كُلِّ سَوْسَنَةٍ تَحْدَرُ خَنْجَرُ
 وَلِدُوا عَلَى بَرْدَى مُرُوجِ غِمَامَةٍ
 بِالصَّاعِقَاتِ، وَبِالطُّفُولَةِ تُزْهِرُ
 وَلِدُوا عَلَى سَيْنَاءٍ مِثْلَ قَصِيدَةٍ
 فِي بَالٍ مَفْجَزَةِ الرُّؤْيِ لَا تَخْطُرُ

• • •

يَا بِاسْمَيْنِ دِمَشَقَ.. مِفْتَاحُ الضُّحَى
 بِيَدِ الْعَبِيرِ حَضَارَةٌ لَا تُقْهَرُ
 يَا قَامَةَ الْغَضَبِ الَّذِي لَا يَنْحَنِي
 مِلَادُكَ الْعَرَبِيِّ أَحْضَرُ أَحْضَرُ
 يَا بِاسْمَيْنِ دِمَشَقَ.. وَحْدَةُ أُمَةٍ
 بِدَمِ الثُّسُورِ، دَمِ الثُّسُورِ تُسْطَلَرُ

٩ تشرين الأول ١٩٧٣

زهرة

زَهْرَةٌ مِنَ الشَّفَقِ
بَرُوْعَتْ عَلَى الْأُفُقِ
حُلُوَّةٌ.. كَهَيْئَةِ
فِي ضَفَائِرِ الْحَبَقِ
غَرَّدَتْ عَلَى شَفَتِي
مَوْجَةً مِنَ الْعَبَقِ
أُورِقَ الطَّرِيقُ بِهَا
جَائَةٌ مِنَ الْأَلْقِ
إِنْ يَمَسُّهَا نَفْسٌ
بِالْصَّفَاءِ يَخْتَرِقِ
أَلْفُ مَوْسِمٍ عَطِيرِ
فِي الْجَبِينِ.. لَمْ يُفِقِ
يَوْمِيءُ الشَّدَا خَجَلًا
بِالْمُنَظَرِ الْقَدِيقِ
اضْفَرِ النَجُومَ لَهَا..
اسْفُهَا سَنَا الْحَدَقِ
بِهَا لَرُوعَتِيهِ ضُحَى

ما يزالُ في الغَسَقِ!
مُنْكِرُ الدُروبِ غداً
بالربيع.. والوَرَقِ

١٩٦٤

الجسر والمقهى الهرم

مهداة الى الصديق وص.ا.ه ذكرى زاويته...
في المقهى الهرم.. بدمشق.

سَفِيًّا لِلأَمْسِ.. أخا الجام
وسلام.. يا ليلَ الشام
إلهام.. ذاب بإلهام
وكؤوسٌ تَغْبِقُ بِالسَّمَرِ
وشبابٌ لِلدُّنْيَا ظَامِي!

...

بحنايا اليزهرِ أنشودة
ذكرى من حولك مقدودة
وأكاذُ أراها.. مردودة
بصدى.. كالزُّنِ المنهمرِ
في أرضٍ عطشى، مفزودة

...

خذه من أعماقِ الأَمْسِ
لحناً تنسابُ به نفسي

وَتَصَارُعُ أَغْنَيْتِي جِسِّي
فَإِذَا أَنَا أَلْهِيَةُ الْقَدَرِ
وَإِذَا قِيَّاسِي فِي مَاسِ!

• • •

أَفْتَقُ بِتَكْشُفٍ عَنْ أَفْتِي
فِي رُوحِ ظِلْمَانٍ، قَلْبِي
وَيُهَيِّبُ الشَّعْرُ: أَنْ ائْطَلِقِي
فَوْقَ الْإِشْفَاقِ، عَلَى الْحَذَرِ
فَإِذَا بَبْيَانِي فِي زَمَنِي

• • •

الْلَفْظَةُ.. بِهَا لِلْمَأْسَاةِ!
لَوْ كَانَتْ تَحْيِلُ آهَاتِي!
وَأَعَاصِيرِي، وَجِرَاحَاتِي
وَحِكَايَةُ «مَقْلَمَجْنَا» الْقَبِيرِ
وَشَوَاطِيءُ قَلْبِكَ بِالذَّاتِ

• • •

عُذُّ بِي لِمَقْيَلِكِ فِي الشَّامِ
«نَفْسُ التَّنْبَاكِ».. وَأَحْلَامِي
وَشُرُودٌ.. عَبْرَ الْإِيمَامِ

وخواطُرُ «تغيير» البشرِ
ومُخَطَّطُ إنسانٍ سامي

• • •

للمجسِرِ، «ومقهاه» الهرم
طيفٌ في الخاطر لم يَرمِ
صَوْرَ تنشالٍ على قلبي
شعراً.. لو مرَّ على وترٍ..
لَتَفَجَّرَ نبعٌ من نَعَم!

• • •

إِنْ عُجَّتْ على المقهى..
فَقَطِّفِ!
وتجاءَ الساقية.. انْعَطِفِ!
كرسيَّ القشِّ على طَرَفِ
وخيوطٌ من ضوء القمرِ
وسلامُ الزهدِ على التَّرفِ!

• • •

اجلس.. تسبِّحُك «الترجيلة»
وأبو عدنان^(١).. فتى حيلة

(١) صاحب المقهى.

ولقد تُعِيْبِكَ «التشعيلة»
وترنُّ «نارك» فاصطبر!
فلكل عسير.. تذليلاً!
ومع «النَّفْثَاتِ» الموازة
يجلو المتأمل أفكاره
وبصافح قلب أسرارهِ
فاذا هو في لُج الفكرِ
نَغْمٌ يتلَّسُّ أوتارهُ!

• • •

اجلس.. لا تشك الضوضاء
مَنْ راح هناك؟ ومن جاء
أتَحسُّ برأسك.. إعياء؟
جذذ «تباكك» ينحسر
وتأمل — ثم — الأحياء

• • •

الشارعُ قُرْبَكَ والناسُ
حسَّ تتلوهُ أخصاسُ
مُتَعِّعٌ للعين.. وإيناسُ
صور تجلو شبح الضجر
الشارع قُرْبَكَ.. والناسُ!

حسنا.. ومندهلَّ شَفُ
وفتقَى بالفارقة مُلْتَفُ
وخطى تمضي، وخطى تقفو
وصفاء الأفق مدى البَصْرِ
ونداء الحب.. ألا تهفوا!

• • •

في الغيم السارح.. في الفَلَكِ،
في الثور الساطع.. في الحَلَكِ،
تغزوك بجانحتي مَلَكِ،
في موج وجودك بالذِّكْرِ
وتغمغم: هذا الكونُ لك!

• • •

سمراؤك.. والغزلُ العَبَقُ
من ثغر الله به أَلَقُ؟
والليل.. وكأسُ نصْطَفَقُ
حدثني عن باقي الخَيْرِ..
في «نارك» لم يبرح رمقُ

• • •

الحب.. أتعرف ما الحرُّ؟

ما الرملُ المحرقُ.. ما القفرُ؟
وافاه على اليبس القطرُ
فأحبلَ مروجاً من زهر
يترققُ في دمها العطرُ..

• • •

الحبُّ.. وأنفاسُ الغزلِ
آمنتُ بملحمة الأزلِ
بوجودِ نَدٍّ عن المثلِ
بهيدٍ تتعشُرُ بالحجرِ
فإذا هو يَخْلُجُ بالأملِ!

• • •

أترؤث «منضدة الخشب»
والدفترُ.. من جرح العرب؟
هيا.. واصدغ ليّل الأدبِ
ببراعمٍ إنداعٍ عطرِ
برسائلٍ.. تزفّحُ باللهبِ!
أمن المتنبي والمجد؟
يهتزُّ لنبرته الخلدُ؟
وطلولُ أنطقها سعدُ
وتراثُ ليس بمندثرِ

ما رفَّ لِمَكْرُومَةٍ هُنْدُ

• • •

والمغربُ.. مغربنا الثائر!
هل لجيت الصوت الهادِز؟
وسقيت الإعصارَ الظافِرَ
وحشدت الثورة في أثرِ
يَصِلُ الماضي بِسَنا الحاضر!

• • •

اكتب.. اكتب.. إن الجيلَ
قد أوشكَ يَفْرُقُ تضليلاً
وحماقات.. وأباطيلاً
من مرتزقي، أو مُشجِرِ
غُرَبانٍ.. تحتلُّ الغيلاً!

• • •

لا تَبْرُخْ «مقهانا» الهَرِمَا!
أهوى فيه حتى السَّأْمَا
أهواه.. ألم يَكْ مزدحماً؟
بالشُّرَاقِ مثلي والضُّجْرِ
وبمن حُرِمُوا.. إلا الأَلَمَا

لي في جنبه أشباه
من شعب أحيا بلواه
وأحس بصدري شكواه
وتمزقة بيد القدر
لا يذغ.. لهذا أهواه

...

جذذ فيه نازر «النفس»
وبقلب المأساة انغمس
إن لم نك نحن سنا القبس
في هذا الليل المعتكر
وا لهفًا.. للركب الثعبا

الفهرس

المقدمة	٣
سليمان العيسى (غناء الذكريات)	٧
ثقافة الشاعر	١٨
قضية العروبة	٢٢
الشعر بمفهوم سليمان العيسى	٤٨
شكل القصيدة	٥٩
التراث والمعاصرة، أو القديم والجديد	٦١
الخطابة في الشعر	٦٤
مولد القصيدة	٦٦
عندما يغني سليمان العيسى للأطفال	٦٨
فلسطين	٧٣
النجار	٧٤
الرسام الصغير	٧٥
قيل في سليمان العيسى	٨٠
طراد الكبيسي	٨٠
أدونيس	٨٢
أحمد عبد المعطي حجازي	٨٣
جعفر ماجد	٨٥

٨٦ سليمان العيسى مجيئاً
٩١ مختارات
٩١ أقاتل باسمك العريان
٩٨ يا موكب النور
١٠٥ أنشودة السفر
١٠٨ غدائر خولة
١١٠ القرية ومنى
١١٦ أمشي وتناين
١٢٣ الخالدون
١٢٩ يا ياسمين دمشق
١٣١ زهرة
١٣٣ الجسر والمقهى الهرم
١٤١ الفهرس

